

حلية اللب المصون على الجوهر المكنون
للشيخ أحمد الدمنهوري
على
الرسالة الموسومة بالجوهر المكنون في المعاني والبيان والبديع

للعارف بالله تعالى سيدي
عبد الرحمن الاخضري رحم الله
جميعهم ونفع بعلومهم
آمين

1994



حلية اللب المصون على الجوهر المكنون
للشيخ أحمد الدمنهوري
على
الرسالة الموسومة بالجوهر المكنون في المعاني والبيان والبديع

للعارف بالله تعالى سيدي
عبد الرحمن الاخضري رحم الله
جميعهم ونفع بعلومهم
آمين

[بسم الله الرحمن الرحيم]

إن أفضل ما تحلت به جياد المعاني والبيان، وتباهت ببديع أنسه قلوب أهل العرفان، الثناء على الله المختص على الحقيقة بالكمال، المنزه في ذاته وصفاته عن شائبة المثال، والصلاة والسلام على أفصح الأنام، سيدنا محمد الذي بلغ المسند إليه غاية المرام، وعلى آله وأصحابه الطيبين، الباذلين نفوسهم في تشييد قواعد الدين، [وبعد] فيقول العبد الفقير الحقير، الراجي من مولاه الخروج من سجن التقصير، أحمد الدمنهوري متعه الله بحصول آماله، ومنّ عليه بكمال التوفيق في أقواله وأفعاله : هذا بيان للرسالة الموسومة «بالجوهر المكنون» في علم البيان للعارف بالله تعالى سيدي عبد الرحمن الأخضري رحمه الله تعالى ونفعنا به، قد التمسه مني العلامة النبيل والنحرير الدرّاكة الجليل، سيدي عبد الرحمن السوسي، أفاض الله علينا وعليه من بحر النوال، ورزقنا وإياه النسج على أحسن منوال، طالبا مني السهولة في البيان، لينتفع به المبتدئون في علم البيان، فأجبته وإن كنت لست أهلا لذلك، ولا من رجال تلك المهامه والمسالك، ولكن حسن ظني بمفيض الأنعام، هو الذي حملني على الحلول في هذا المقام، راجيا منه سبحانه وتعالى حسن القبول، والفوز برضاه بمحض فضله فإنه المأمول، وسميته: «حيلة اللب المصون بشرح

الجوهر اللب المكنون» والله أسأل من فيضه العميم، أن ينفع به من تلقاه بقلب سليم، إنه مفيض الخير والجود وهو حسبي ونعم الوكيل.

قال :

[بسم الله الرحمن الرحيم]

أقول:

أبتدأ بالبسملة اقتداء بالكتاب العزيز وعملا بخبر كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أبتر وفي رواية كل كلام لا يبدأ فيه بالحمد لله الرحمن فهو أجذم ولا تعذر في العمل بالحديثين لحمل الإبتداء فيهما على الأعم من الحقيقي و الإضافي أو لحمله في الأوّل على الأوّل وفي الثاني على الثاني كما في القرآن المبين كيفية العمل بهما على أن اشتراط تحصيل البركة بالإبتداء بهما معا محمول على الكمال وأما أصلها فحاصل بإحداهما بل بكل ذكر غيرهما كما يدل له رواية بذكر الله الدالة على اعتبار جهة عمومها وفي وصف الأمر بما بعده فائدتان: الأولى تعظيم إسم الله تعالى حيث لا يبدأ به إلا في الأمور التي لها شأن وخطر، الثانية التيسير على الناس في محقرات الأمور.وأورد أن كلا من البسملة والحمدلة من أفراد موضوع قضية الحديث فيحتاج كل منهما حينئذ إلى سبق مثله ويتسلسل. وأجيب بأن

كلا منهما كما يحصل البركة لغيره ويمنع نقصه كذلك يجب أن يحصل مثل ذلك لنفسه كالشاة من الأربعين تزكى نفسها وغيرها والباء في البسملة متعلقة بمقدّر وكونه فعلا ومن مادة التأليف هنا ومتأخرا أولى. أما الأول فلأصالة الفعل في العمل. وأما الثاني فلأنه أمس بالمقام إذ لا يشعر تقدير خلافه بما جعلت البسملة مبدأ له. وأما الثالث فلأن تقديم المعمول هنا أدخل في التعظيم ودالّ على الإختصاص كما في - إياك نعبد-. والإسم عند البصريين أحد الأسماء التي كثر استعمالها فخففت بحذف أعجازها وتسكين أوائلها ثم اجتلبت همزة الوصل عند الإبتداء بها توصلا للنطق بالساكن واشتقاقه من السموّ فأصله عند البصريين سمو ووزنه فعل وبعد التغيير أفع وعند الكوفيين أصله وسم حذفت الواو وعوض عنها همزة الوصل واشتقاقه من السمة وهي العلامة فالوزن قبل التغيير فعل وبعده أعل والله علم على الذات الواجب الوجود ووصف الذات بما بعدها بيان للمسمى لا لاعتباره فيه وإلا لكان المسمى مجموع الذات والصفة وليس كذلك بل هي وحدها وقيل مع الصفة واعترض على جعل الله علما بأن وضع العلم بازاء ذاته تعالى فرع تعقله ولا تعقل فلا وضع وأجيب بتعقله تعالى بصفاته والمنفى تعقله بكنه حقيقته وهو غير لازم في وضع العلم على أن الواضع مطلقا أو واضع هذا الإسم هو الله

تعالى علمه لغيره بوحي أو إلهام. والرحمن الرحيم إسمان بنيا للمبالغة مشتقان من رحم أي من مصدر ذلك والرحمة رقة في القلب وانعطاف تقتضي التفضل والإحسان وأسماؤه المماثلة لهذه مأخوذة باعتبار الغايات التي هي أفعال دون المبادئ التي هي انفعالات لاستحالة الكيفيات النفسانية عليه تعالى فالرحمة هنا مجاز مرسل عن الإحسان أو إرادته استعمالا لإسم السبب في المسبب والأوّل أبلغ من الثاني لزيادة بنائه كما في قطع وقطع ولا نقض بحذر وحاذر لعدم التلاقي في الإشتقاق وقدّم الله على تاليه لأنه إسم دات وهي مقدّمة على الصفة فقدم ما يدل عليها وهذا التقديم تعقلي وإلا فذات الله تعالى وصفاته ليس فيها تقديم ولا تأخير بحسب الواقع وقدم الرحمن على تاليه لأنه صار علما بالغلبة التقديرية من حيث إنه لا يوصف به غيره تعالى وأما قوله

* وأنت غيث الورى لا زلت رحمانا *

فخطأ نشأ عن التعنت في الكفر واعترض بأن الصناعة تقتضي الترقي للأبلغ من غيره كما في عالم نحرير. وأجيب بجعل الثاني كالتتمة للأول باعتبار جلالة النعم فيه دون الثاني ومن أراد تحقيق الكلام على البسملة فعليه برسالتنا كشف اللثام عن مخدرات الأفهام فإنها من أجل ما ألف في هذا المقام.

قال:

[الحمد لله البديع الهادي لي بيان مهيع الرشاد]

أقول : الحمد لغة هو الثناء بالكلام على المحمود بجميل صفاته، واصطلاحا فعل ينبئ عن تعظيم المنعم بسبب إنعامه ومعنى الشكر لغة هو معنى الحمد اصطلاحا بإبدال لفظ الحامد بالشاكرواصطلاحا صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه إلى ما خلق لأجله وجملة الحمد مفيدة له ولو كانت خبرية لأن الاخبار بالثناء ثناء ولاختصاص جميع أفراده به تعالى وإن أشير بأل إلى غير كل الأفراد لكون الحمد صفة ذات أو صفة فعل وقدم المسند إليه للأصل والبلاغة وعرّف بأل ليتأتي ما يصلح أن يراد بها وتحقيق الكلام على الحمد والشكر والمدح لغة واصطلاحا والنسبة بين أفراد الجميع في الرسالة المتقدمة والبديع المبدع للشيء على غير مثال فهو فعيل بمعنى فاعل ويطلق على الشيء المبدع فهو بمعنى مفعول وإطلاقه على الله تعالى صحيح بالمعنى الأول مستحيل بالمعنى الثاني، والهادي يطلق على الدال على الطريقة الموصلة إلى المطلوب وعلى خالق الهداية في القلب وهو بالمعنى الأول مشترك بين الله وأنبياءه وأولياءه. وكل داع إليه تعالى من خلقه وهو المراد هنا وبالمعنى الثاني خاص به تعالى والبيان الإيضاح والمهيع الطريق. والرشاد الصواب وفي ذكر البديع

وبيان براعة استهلال وهي أن يذكر المتكلم في أول كلامه ما يشعر بمقصوده كما يأتي في الفن الثالث.

قال:

[أمدّ أرباب النهى ورسما   شمس البيان في صدور العلما]

أقول : الإمداد إعطاء المدد. وهو الزيادة في الخير والأرباب جمع رب والمراد به هنا الصاحب والنهى جمع نهية وهي العقل. والرسم هنا عبارة عن الإثبات والبيان المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير وإضافته لما قبله من قبيل لجين الماء ويحتمل تشبيه البيان بالنهارففيه مكنية وتخييلية. ويحتمل استعارة الشمس لقواعد علم البيان فالاستعارة تحقيقية. ومعنى كون البيان كالشمس أنه يظهر به غيره، وهو المعاني كما أن الشمس يظهر بها غيرها وإن كان الظهور الأول معنويا والثاني حسيا أي باعتبار المتعلق فيهما والرسم لمعنى البيان لا له والصدور جمع صدر مرادا به هنا القلب أي اللطيفة فهو مجاز بمرتبتين وأل في العلماء للكمال أي العاملين وفيه تنبيه على أن العلم لا يستقر ولا يثبت إلا في قلب تخلى عن الرذائل لمصادفته قلبا خاليا فيتمكن فإن الحكمة إذا لم تجد القلب كذلك فإنها ترجع من حيث أتت.

قال :

[فأبصروا معجزة القرآن واضحة بساطع البرهان]

أقول : الفاء تفريعية والمراد بالإبصار هنا القلى أي النظر بعين البصيرة والمعجزة أمر خارق للعادة مقرون بالتحدّي فإضافته لما بعده بيانية إذ المراد به النظم المعجز وإن كان يطلق بالإشتراك اللفظي على الصفة القديمة أيضا فالإضافة قرينة معينة، وقوله يساطع البرهان من إضافة الصفة للموصوف أي البرهان الساطع أي الظاهر والبرهان العقلي قياس مركب من قضايا يقينية والمراد بها هنا ما يعم النقلي، ولا شك أن كون القرآن من كلام الله تعالى الناشئ عن الإعجاز المفهوم من معجزة ثابت بالبرهانين. أما الأول فقولنا هذا الكلام معجز وكل معجز ليس من تأليف المخلوق ينتج هذا الكلام ليس من تأليف المخلوق فيكون من تأليف الخالق إذ لا واسطة. وأما الثاني وإن ترتب على الأول فكقوله تعالى - قل لئن اجتمعت الإنس والجنّ على أن ياتوا بمثل هذا القرآن - الآية .

قال :

[وشاهدوا مطلع الأنوار وما احتوت عليه من أسرار]

أقول : شاهدوا معطوف على أبصروا فهو من ثمرات رسم البيان أيضا والمراد المشاهدة بعين البصيرة والمطالع جمع مطلع وهو محل الطلوع

والأنوار جمع نور وهو ما به ظهور الأشياء والمراد به هنا العلم لأن به تظهر المعلومات والأسرار جمع سرّ وهو المعنى الخفي ومعنى البيت أنهم بواسطة إمعان النظر الناشئ عما رسم في قلوبهم شاهدوا معاني كلمات القرآن التي هي كمطالع الأنوار الحسية بجامع ما ينشأ عن كل من النور وإن كان محسوسا في الثاني ومعقولا في الأول وشاهدوا ما اشتملت عليه تلك الإنوار أي العلوم في أسرار أي نكات خفية إذ خبايا القرآن وخفاياه تقف دون آخرها العقول بدليل وما يعلم تأويله إلا الله وإدراك بعضها إنما يكون بالتنوير جعلنا الله من أهله. قال:

[فنزهوا القلوب في رياضه وأوردوا الفكر على حياضه]

أقول : الرياض جمع روضة والمضاف إليه ضمير القرآن على تقدير مضاف هو معاني ولما كانت النفوس الناطقة تنتعش باقتناص المعاني كما تنتعش بالأقوات الأشباح والمباني شبه معاني القرآن بالرياض بجامع تنزه النفس الناطقة بملابستها كتنزه القلب الجسماني بالرياض المحسوسة فإضافة رياضه من قبيل لجين الماء مع مراعاة المضاف المتقدّم كإضافة حياض بعده لما بعده وإن كان المقصود نوعا من المتوسط بين المتضايفين. والفكر حركة النفس في المعقولات وحركتها في المحسوسات تخييل والحياض جمع حوض وقعت واوه بعد كسرة قلبت ياء أي على معانيه

التي هي كالحياض المحسوسة بجامع شفاء الصدر في كل منهما ولا يخفى عليك تفريع هذا البيت على ما قبله قال :

[ثم صلاة الله ما ترنما   حاد يسوق العيس في أرضالحمى
على نبينا الحبيب الهادي   أجل كل ناطق بالضاد
محمد سيد خلق الله   العربي الطاهر الأواه]

أقول: الصلاة لغة العطف فإن أضيف إلى الله تعالى سمي رحمة أو إلى الملائكة سمي استغفارا أو إلى غيرهما سمي دعاء فهي مقولة على هذه المعاني بالإشتراك المعنوي والترنم التغني والعيس الابل وحاديها سائقها المغني لها ليحصل لها نشاط في السير والحمى الممنوع من قربه والمراد به أرض الحجاز لمنع الكفار من الإقامة بها والمقصود طلب تأبيد الصلاة بجملتها إلا التأقيت والنبي إنسان أوحى إليه بشرع فإن أمر بتبليغه سمي رسولا أيضا وهو بالهمز من النبأ أي الخبر فيصح أن يكون بمعنى فاعل باعتبار أنه مخبر بكسر الباء عن الله عز وجل أو بمعنى مفعول باعتبار أن جبريل أخبره عن الله تعالى وبالياء من النبوة وهي الرفعة فيصح أن يكون بمعنى مفعول لأنه مرفوع الرتبة عن غيره أو فاعل

لرفعه غيره إذ ما من من مرفوع إلا وباب رفعته النبي صلى الله عليه وسلم والحبيب يصح أن يكون بمعنى فاعل أو بمعنى مفعول والهادي المرشد غيره وأجل بمعنى أعظم وكل ناطق بالضاد أشار به إلى قوله صلى الله عليه وسلم فيما روى عنه متكلما فيه بالوضع أنا أفصح من نطق بالضاد بيد أني من قريش ومقصوده الثناء على المصطفى صلى الله عليه وسلم بكمال فصاحته وفي بعض النسخ * على نبي اصطفاه الهادي * أجل الخ ومحمد علم على ذاته صلى الله عليه وسلم وسيد خلق الله أي أفضلهم وأشرفهم على الاطلاق بتفضيل من المولى سبحانه وتعالى بدليل « أنا سيد ولد آدم ولا فخر» وأما ماورد من الأحاديث الدالة على نهيه عن تفضيله على غيره من الأنبياء فأجابوا عنها بأجوبة منها أنه قال ذلك تواضعا منه صلى الله عليه وسلم والعربي نسبة إلى العرب والطاهر المنزه حسا ومعنى عن شائبة وصف مخلّ بشيء من كماله صلى الله عليه وسلم صغيرا أو كبيرا قبل النبوّة وبعدها عمدا أو سهوا والأوّاه كثير التأوّه من خشية الله تعالى وقد ورد أنه كان يسمع لصدره صلى الله عليه وسلم أزيز كأزيز المرجل أي غليان كغليان القدر لأن الخوف على قدر المعرفة وهو أعرف خلق الله تعالى بالله.

قال :

[ثم علـى صاحبـه الصديـق حبيبـه وعمـر الفـاروق
ثم أبي عمرو إمام العابدين وسطوة الله إمام الزاهدين]

أقول : صاحب بمعنى صحابي وهو من اجتمع به صلى الله عليه وسلم مؤمنا به بعد نبوّته حال حياته اجتماعا متعارفا وأما قولهم ومات على ذلك فبيان لثمرة الصحبة إذ تحققها لا يتوقف على ذلك والصدّيق لقب لسيدنا أبي بكر رضي الله عنه واسمه عبد الله وهو قريشي يلتقي مع النبي صلى الله عليه وسلم في مرة بن كعب. من كلامه رضي الله عنه أكيس الكيس التقى وأحمق الحمق الفجور وأصدق الصدق الأمانة وأكذب الكذب الخيانة وكان رضي الله تعالى عنه يأخذ بطرف لسانه ويقول هذا الذي أوردني الموارد وكان يشمّ من فيه رائحة الكبد المشويّ لشدّة خوفه رضيّ الله عنه وعمر الفاروق هو سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه لقب بالفاروق لفرقه بين الحق والباطل يجتمع نسبه مع النبي صلى الله عليه وسلم في كعب من كلامه رضي الله عنه من خاف من الله لم يشف غيظه ومن اتقى الله لم يصنع ما يريد وكان يأخذ اللبنة من الأرض ويقول يا ليتني كنت هذه اللبنة ليتني لم أخلق ليت أمي لم تلدني ليتني لم أك شيئا ليتني كنت نسيا منسيا وكان يحمل جراب الدقيق على ظهره للأرامل والأيتام فقال له بعضهم دعني أحمله عنك فقال له ومن يحمل

عني يوم القيامة ذنوبي رضي الله عنه. وأبو عمرو المراد به سيدنا عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه يجتمع نسبه مع النبي صلى الله عليه وسلم في عبد مناف وكان رضي الله تعالى عنه شديد الحياء وكان يصوم النهار ويقوم الليل إلا هجعة من أوّله وكان يختم القرآن في ركعة واحدة كثيرا وكان إذا مرّ على المقبرة بكى حتى يبلّ لحيته رضي الله تعالى عنه. وسطوة الله إمام الزاهدين المراد به سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وعبر عنه بالسطوة لشدة بأسه على أهل الزيغ وبما بعده لشدة إعراضه عن الدنيا كان رضي الله عنه يقول الدنيا جيفة فمن أراد منها شيئا فليصبر على مخالطة الكلاب وكان يخاطب الدنيا ويقول يا دنيا غرّي غيري فقد طلقتك ثلاثا عمرك قصير ومجلسك حقير وخطرك كبير آه آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق وكان يقول ما نلت من دنياك فلا تكثر به فرحا وما فاتك منها فلا تأس عليه حزنا وليكن همك فيما بعد الموت رضى الله تعالى عنه،

قال :

[ثم على بقية الصحابه	ذوي التقى والفضل والانابه
والمجد والفرصة والبراعه	والحزم والنجدة والشجاعه
ما عكف القلب على القرآن	مرتقيا لحضرة العرفان]

أقول : ألتقى من قولهم وقاه فاتقي والوقاية الحفظ والمتقي من يقي نفسه أي يحفظها عما يضرها في الآخرة وللتقوى مراتب الأولى التوقى عن العذاب الأبدي وهي حاصلة بعدم الشرك بالله تعالى والثانية التنزه عن كل مأثم فعلا أو تركا والثالثة التنزه عما يشغل السر من الأكوان عن الحق جل جلاله وهذا القسم مطلوب للمولى من عبيده بقوله اتقوا الله حق تقاته لأنه تعالى لا يقبل على القلب المشترك والفضل الزيادة في الخير والانابة الرجوع إليه سبحانه وتعالى والمجد الكرم والفرصة من قولهم فرصت الرجل وأفرصته إذا أعطيته فهي بمعنى العطية والبراعة من برع الرجل بالفتح والضم براعة إذا فاق أصحابه في العلم وغيره والحزم ضبط الأمر بالإتقان وحسن التدبير والنجدة الاعانة بسرعة وتطلق على الشجاعة فعطف ما بعدها على هذا عطف مرادف ومغاير على الأول والشجاعة شدة القلب عند البأس والعكوف الاقامة والقرآن يطلق على الصفة القديمة وليس مرادا هنا وعلى النظم المعجز الدال على متعلق الصفة القديمة لا عليها نفسها على التحقيق خلافا لظاهر عبارات جمهور المتكلمين وهو المراد هنا وبين على والقرآن مضاف وهو معاني ومعنى الإقامة على المعاني الإقامة على التأمل فيها فإن ذلك هو العروة الوثقي في الوصول إلى حالة يقف دون أولها سليمو العقول وهو ما أشار

إليه بقوله مرتقيا الخ وليس مقصوده بما عكف التقييد بل المقصود هنا التأبيد.

قال :

[هـذا وإن درر البيـــان وغرر البديع والمعاني
تهدي إلى موارد شريفه ونبـذ بديعـة لطيفـه
من علم أسرار اللسان العربي ودرك ما خص به من عجب
لأنه كالروح وللإعراب وهو لعلم النحو كاللباب]

أقول لفظة هذا خبر لمبتدأ محذوف أي الأمر هذا أو مبتدأ والخبر محذوف أي هذا كما ذكر وهو للانتقال من كلام إلى آخر ويسمى الاقتضاب لعدم الملاءمة بين المنتقل عنه والمنتقل إليه فإن كانت مناسبة سمي تخلصا كما يأتي الكلام على ذلك في فن البديع إن شاء الله تعالى والواو في وإنّ واو الحال ودرر البيان أراد بها مسائل علم البيان المعنى به إدراك المسائل على سبيل الإستعارة المصرحة وغرر البديع والمعاني كذلك نظرا للأصل في معنى الغرة ويحتمل أن يكون المراد بالبيان وتاليه المسائل فالإضافة من قبيل لجين الماء وسيأتي تحقيق معنى العلم في أول الفن الأول وتهدي توصل والموارد جمع مورد مرادا به المعنى سمي بذلك لورود الأفكار عليه لتشتفي من ضمأ الجهل كالمورد المحسوس الشافي

من حرارة الكبد فالموارد استعارة مصرحة ونبذ جمع نبذة مرادا بها بعض المعنى وبديعة بمعنى حسنة ولطيفة دقيقة ومن علم متعلق بموارد من تبعيضيه وعلم اللسان العربي علم اللغة وأسراره دقائقه ودرك بمعنى إدراك معطوف على موارد وما واقعة على المعاني الدقيقة التي خص بها اللسان العربي ومن عجب بيان لها والعجب بمعنى العجيب أي ما يتعجب منه للطافته وقوله لأنه أي المذكور من البيان وتاليه مراده بالإعراب المعرب ولباب كل شيء خالصه ومعنى كون هذه الفنون أي مؤداها كالروح للمعرب من الكلمات أنها موصولة إلي معرفة المزايا الزائدة على معاني الكلمات الأصيلة التي هي خواص التراكيب كالمطابقة لمقتضى الحال وهذا هو محط نظر البلغاء فالكلمات المعربة المجردة عن هذه الخواص كالأشباح الخالية عن الأرواح فليست معتبرة بدونها كما أن الجسم لا يعتبر بدون الروح فالخواص للكلمات بمنزلة الأرواح للأشباح ففي كلامه الحكم على الشيء بحكم مؤداه ويحتمل أن يكون المراد بالاعراب العلم الباحث عنه وهو النحو فيكون الحكم على البيان وما معه لا على المؤدى ويكون المنصنف قد جعل له منزلتين الأولى منزلة الروح من الجسم والثانية منزلة اللباب من القشر ومراده بهذه الأبيات مدح هذا الفن المتضمن مدح كتابه وهذا الفن جدير بذلك إذ لا تدرك دقائق التفسير وما اشتمل عليه

من الإعتبارات اللطيفة إلا بواسطة مراعاة هذا الفن فهو من أعظم آلات العلوم الشرعية ولذلك كان الاشتغال به فرض كفاية. واعلم أن تعريف كل علم يأتي في أوله وموضوع كل الكلمات العربية من الحيثيات الآتية والواضع له الشيخ عبد القاهر والإسم يأتي في آخر المقدمة ومادته من أسرار العربية وتقدم حكمه وستأتي مسائل كل، وفضيلته إدراك معجزة القرآن به، ونسبته تقدمت في قوله لأنه كالروح الخ، وفائدته تأتي عند قوله وحافظ الخ.

قال :

[وقد دعا بعض من الطلاب لرجز يهدي إلى الصواب

فجئته برجز مفيد مهذب منقح سديد

ملتقطا من درر التلخيص جواهرا بديعة التلخيص

سلكت ما أبدى من الترتيب وما ألوت الجهد في التهذيب]

أقول: دعا بمعنى طلب فاللام في قوله لرجز زائدة والرجز نوع من الشعر أجزاؤه مستفعلن ستّ مرات ثاني دائرة المشتبه منفكا عن أولّها من سبي مفاعيلن وهذه المنظومة وما أشبهها من مشطور الرجز وفي كونه عروضا أو ضربا أقوال تعلم من علم العروض. والصواب كلام طابق حكمه الواقع من غير اعتبار المطابقة من جانب بخصوصه بخلاف الحقّ

فإنه ما طابق الواقع باعتبار نسبة الواقع إليه وبخلاف الصدق فإنه ما طابق الواقع باعتبار نسبته إلي الواقع ويقابل الأول الخطأ والثاني الباطل والثالث الكذب ورجز مفيد يحتمل أنه مجاز عقلي مما بني الفعل فيه للفاعل وأسند إلى المفعول كعيشة راضية لأن الرجز مفاد لا مفيد ويحتمل أن يكون من باب الاستعارة بالكناية والتخييلية بأن جعل الإنسان المضمر المرموز إليه بمفيد أو التشبيه المضمر في النفس أو الرجز المدّعى أنه من أفراد الإنسان المشبه به استعارة بالكناية على المذاهب فيها وإثبات اللازم وهو مفيد استعارة تخييلية ومهذب أي مصفى من شائبة ما لا فائدة فيه ومنقح بعده بمعناه وسديد بمعنى أنه لا خلل فيه وأتى به لدفع توهم خلل في المعنى ناشئ عن الإيجاز الناشئ عن هذه الأوصاف المصرّح بها فيما بعد وفيه مدح لتأليفة ليقبل فيحصل به النفع وهذه عادة المصنفين ولا بأس بذلك لصحة الغرض. والتلخيص هو مختصر الخطيب القزويني للقسم الثالث من المفتاح للسكاكي ودرره مسائله التي يشتمل عليها فالدرر أي الجواهر أو استعمالها استعارة تصريحية ومن تبعيضية وجواهر معمول لملتقطا وبديعة التلخيص حسنته. ومعنى البيت أنه لم يأخذ جميع مسائل التلخيص وإنما أخذ بعضها وقوله : سلكت ما أبدى من الترتيب. يعني أنه رتب مؤلفه ترتيبا مثل ترتيب تلخيص المفتاح وقوله ما ألوت

الجهد أي ما منعته والجهد بالضم الطاقة والتهذيب التصفية.

قال :

[سميته بالجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون

والله أرجو أن يكون نافعا لكل من يقرؤه ورافعا

وأن يكون فاتحا للباب لجملة الاخوان والأصحاب]

أقول : ضمير سميته يرجع إلى المؤلف المفهوم من السياق وسمي يتعدى لمفعولين تارة بنفسه وتارة للثاني بالباء كما هنا والجوهر إلى آخر البيت هواسم هذا الكتاب والمكنون المستور والصدف وعاء الجوهر والثلاثة تدل مما قبله والفنون جمع فنّ وهو النوع من كلّ شيء والمراد هنا علم المعاني والبيان والبديع والرجاء الأمل وقدم المعمول للاختصاص وقوله يقرؤه أي على غيره أو لغيره ورافعا له على غيره من أقرانه وقوله للباب أي باب الفهم للكتب المطولة في هذا العلم ولا يخفي ما فيه من التواضع حيث جعل كتابه وسيلة غير مقصود والاخوان جمع أخ في الله لا من النسب وجمعه من النسب إخوة والأصحاب جمع صاحب ومقصوده تعميم النفع وقد أخبرنا شيخنا سيدي عبد الله المغربي القصرى عن أشياخه أن المصنف كان مجاب الدعوة وقد شاهدنا ذلك نفعنا الله به .

[المقدمة][1]

أقول : رتب المصنف كتابه كأصله على مقدّمة وثلاثة فنون فجعل الخاتمة داخلة في فنّ البديع وهو الوجه بدليل كلام صاحب الأصل في الإيضاح وقال بعض شارحي الأصل بعدم الدخول فوجه الحصر على الأوّل أن المذكور في الكتاب إما أن يكون من قبيل المقاصد في هذا الفنّ أولا الثاني المقدّمة والأوّل إن كان الغرض منه الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد فهو الفنّ الأوّل وإلا فإن كان الغرض منه الاحتراز عن التعقيد المعنوي فهو الفنّ الثاني وإلا فهو الفنّ الثالث ووجهه على الثاني أن المذكور في الكتاب إما من قبيل المقاصد أولا فإن كان من قبيل المقاصد فإن كان الغرض منه الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد فهو الفنّ الأوّل وإن كان الغرض منه الاحتراز عن التعقيد المعنوي فهو الفنّ الثاني وإن كان الغرض منه معرفة وجوه تحسين الكلام فهو الفنّ الثالث وإن لم يكن من قبيل المقاصد فاما أن يتعلق بما تعلق السابق باللاحق أو تعلق اللاحق بالسابق فالأوّل هو المقدمة والثاني هو الخاتمة. فإن قلت : هذا التقسيم غير شامل للخطبة والتراجم لظهور عدم دخولها

في شيء من الأقسام مع أنها من جملة ما ذكر في الكتاب. فالجواب أن المراد بالمذكور في الكتاب المذكور في التقسيم ما له مدخل وخصوصية بهذا الفن فحينئذ لا تكون الخطبة ونحوها داخلة في المقسم حتى يلزم عدم شمول الأقسام لها. والمقدمة بالكسر مأخوذة من مقدمة الجيش للجماعة المتقدمة منه أي منقولة من ذلك لمناسبة بينهما لأن هذه المقدمة تقدم الإنسان لمقصوده كما أن مقدمة الجيش تقدمه أي تجسره على التقدّم فيكون استعمال لفظ المقدّمة في مقدّمة العلم ومقدّمة الكتاب حقيقة عرفية ويحتمل أنها مأخوذة منها أي مستعارة فيكون استعمالها مجازا فهي من قدم المتعدي ويحتمل أن تكون من اللازم بمعنى متقدمة وبالفتح من الأول لاغير لأن المؤلف قدمها أمام مقصوده وهي قسمان مقدمة علم ومقدمة كتاب فمقدمة العلم ما يتوقف عليه الشروع في ذلك العلم وهو تصوّره بوجه ما إن أريد مجرد الشروع أو تصوره برسمه أو حده وتصور موضوعه وغايته إن أريد الشروع على بصيرة وهذه معان محضة وذكر الالفاظ لتوقف الإنباء عنها عليها إلا أنها مقصودة لذاتها حتى لو تيسر فهم المعنى من غير ألفاظ لم يحتج إليها أصلا. ومقدمة الكتاب إسم لطائفة من كلامه قدمت أمام المقصود لارتباط له بها وانتفاع بها فيه فالأولى معان والثانية ألفاظ فبين المقدمتين تباين والمقدمة هنا مقدمة

كتاب لا علم خلافا لصاحب المتن في شرحه لأنها طائفة من الكتاب وهي ألفاظ ذكرت أمام المقصود وهو المعاني والبيان والبديع لارتباط كل بما ذكره هنا من معنى الفصاحة والبلاغة وانحصار علم البلاغة في علمي المعاني والبيان وما يلائم ذلك ولو عبر المصنف بمقدمة بالتنكير كما عبر أصله لكان صوابا إذ لا وجه للتعريف لأن طرقه أربعة العهد الخارجي أو الذهني أو الجنس أو الاستغراق ولا يصلح المقام لشيء من ذلك بخلاف التعريف في الفنون الثلاثة فله وجه وهو تقدم العلم بها من قوله وما من التعقيد البيتين فناسب الأيراد بالتعريف.

قال:

[فصاحة المفرد أن يخلص من   تنافر غرابة خلف زكن]

أقول : الفصاحة في اللغة تنبئ عن الظهور والإبانة، يقال فصح الأعجمي إذا انطلق لسانه وخلصت لغته من اللكنة وقال تعالى حكاية عن سيدنا موسى - وأخي هرون هو أفصح مني لسانا - أي أبين مني قولا ومعناها اصطلاحا يختلف باختلاف موصوفها وموصوفها الكلمة والكلام والمتكلم يقال كلمة فصيحة وكلام فصيح في النثر وقصيدة فصيحة في النظم ومتكلم فصيح. وأما البلاغة فيوصف بها المتكلم والكلام فقط فيقال كلام بليغ ومتكلم بليغ ولا يقال كلمة بليغة وذكر المصنف فصاحة

الكلمة وهي مقصودة بالمفرد في هذا البيت فذكر أنها عبارة عن خلوصه من ثلاثة أمور الأوّل التنافر وهو وصف في الكلمة يوجب ثقلها على اللسان وعسر النطق بها فمنه ما تكون الكلمة بسببه متناهية في الثقل كالهعخع بضم الهاء والخاء المعجمة وسكون العين المهملة الأولى من قول أعرابي وقد سئل عن ناقته فقال تركتها ترعى الهعخع والهاء والعين لا يكادان يجتمعان من غير فصل وهو شجر مستحدث قيل ولا أصل له في كلامهم وإنما هو الخعخع بخاءين معجمتين. ومنه ما دون ذلك كمستشزرات من قول امرئ القيس:

غدائره مستشزرات إلى العلا ‏ ‏ ‏ ‏ تضل العقاص في مثنى ومرسل

أي ذوائبه جمع غديرة والضمير للفرع قبله والفرع الشعر التام ومستشزرات : أي مرتفعات إن قرئ بكسر الزاي أو مرفوعات إن قرئ بفتحها. وضابط التنافر كل ما عده الذوق السليم الصحيح ثقيلا متعسر النطق سواء كان من قرب المخارج أو بعدها أو غير ذلك. الثاني الغرابة وهي كون الكلمة وحشية غير ظاهرة المعنى ولا مألوفة الإستعمال فتحتاج معرفها إلى تفتيش عنها في كتب اللغة المبسوطة كما روي عن بعضهم أنه سقط عن حماره فاجتمع عليه ناس فقال ما لكم تكأكأتم عليّ كتكأكئكم على ذي جنة افرنقعوا: أي اجتمعتم تنحوا عني، أو

تخريج لها على معنى بعيد نحو مسرج في قول العجاج. ومقلة وحاجبا مزججا وفاحما ومرسنا مسرجا فإنه لم يعرف ما أراد بقول مسرجا حتى اختلف في تخريجه فقيل هو من قولهم في السيوف سريجية منسوبة إلى قين أي حداد يقال له سريج يريد أنه في الدقة والاستواء كالسيف السريجي وقيل من السراج يريد أنه في البريق واللمعان كالسراج وهذا يقرب من قولهم سرج الله وجهه أي بهجه وحسنه. وفاحما أي شعرا أسود كالفحم معطوف على منصوب قبله والمرسن بفتح الميم مع فتح السين وكسرها الأنف. الثالث المخالفة للقواعد بأن تكون الكلمة على خلاف قانون مفردات الألفاظ الموضوعة كالفك فيما يجب إدغامه وعكسه نحو قول أبي النجم : الحمد لله العلي الأجلل الواحد الفرد القديم الأول والقياس الاجلّ بالإدغام لاجتماع مثلين مع تحريك الثاني فنحو ماء وآل وعور وقطط فصيح لأنه ثبت عن الواضع كذلك فهو في حكم الإستثناء من القياس وزاد بعضهم أمرا رابعا وهو الخلوص من الكراهة في السمع بأن تكون الكلمة بحيث يمجها السمع نحو الجرشى أي النفس في قول أبي الطيب

كريم الجرشى شريف النسب

وردّ ذلك بأن الكراهة في السمع من قبيل الغرابة فلا زيادة على

الثلاثة. وزكن علم.

قال :

[وفي الكلام من تنافر الكلم   وضعف تأليف وتعقيد سلم]

أقول : المراد بالكلام المركب مجازا من باب إطلاق اسم الخاص على العام ومقابلته بالمفرد قرينة لذلك فيشمل المركب الناقص كان قام زيد والتام كزيد قائم فالتعميم في جانبه أي الكلام ما ليس بمفرد وقيل إن المركب الناقص داخل في المفرد والتعميم فيه أي المفرد ما ليس بكلام أي مركب تام وهو مختار السعد في شرح الأصل والمرجح الأول. قوله من تنافر الخ أي خلوصه من هذه الأمور الثلاثة وترك رابعا ذكر أصله وهو فصاحة كلماته احترازا من نحو زيد أجلل فليس بفصيح فالتنافر أن تكون الكلمات ثقيلة على اللسان وإن كان كل منها فصيحاوالثقل يكون متناهيا كما في قوله:

وقبر حرب بمكان قفر   وليس قرب قبر حرب قبر

وغير متناه كما في قوله:

كريم متى أمدحه أمدحه والورى   معي وإذا ما لمته لمته وحدي

ومنشأ الثقل في الأول نفس اجتماع الكلمات وفي الثاني حروف منها وهو في تكرار أمدحه دون مجرّد الجمع بين الحاء والهاء لوقوعه في

التنزيل نحو فسبحه فلا يقال إن مثل هذا الثقل مخلّ بالفصاحة. وضعف التأليف أن يكون تأليف الكلام على خلاف القانون النحوي كالاضمار قبل الذكر لفظا ومعنى وحكما نحو ضرب غلامه زيدا بخلاف ضرب زيد غلامه وضرب غلامه زيد وهو زيد قائم والتعقيد أن لا يكون الكلام ظاهر الدلالة على المعنى المراد الخلل واقع إما في نظم الكلام بسبب تقديم أو تأخير فيه أو حذف أو غير ذلك مما يوجب صعوبة فهم المعنى المراد وإما في انتقال الذهن من المعنى الأصلي إلى المعنى المقصود فالأول كقول الفرزدق في خال هشام بن عبد الملك وهو إبراهيم: وما مثله في الناس إلا مملكا أبو أمه حي أبوه يقارب به أي ليس مثله في الناس أحد يقارب به أي يشبهه في الفضائل إلا مملكا أي رجلا أعطى الملك يعني هشاما أبو أمه أي أبو أم ذلك المملك أبوه أي أبو إبراهيم الممدوح أي لا يماثله أحد إلا ابن أخته وهو هشام ففيه فصل بين المبتدإ والخبر أعني أبو أمه أبوه بالاجنبي الذي هو حي وفصل بين الموصوف وصفته أعني حي يقارب به بالأجنبي الذي هو أبوه وتقديم المستثنى أعني مملكا على المستثنى منه أعني حي وفصل كثير بين البدل وهو حي والمبدل منه وهو مثله فمثله اسم ما وفي الناس خبره وإلا مملكا منصوب لتقدمه على المستثنى منه والثاني كقول الآخر: سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا وتسكب عيناي الدموع

لتجمدا جعل سكب الدموع كناية عما يلزم فراق الأحبة من الكآبة والحزن وأصاب لكنه أخطأ في جعل جمود العين كناية عما يوجبه التلاقي من الفرح والسرور فإن الانتقال من جمود العين إلى نجلها بالدموع حالة إرادة البكاء وهي حالة الحزن لا إلى ما قصده من السرور الحاصل بالملاقاة وزاد بعضهم الخلوص من كثرة التكرار وتتابع الإضافات فالأول كقوله :

سبوح لها منها عليها شواهد

والثاني كقوله :

حمامة جرعى حومة الجندل أسجعى

ورد بأن ذلك إذا ثقل اللفظ بسببه على اللسان فقد حصل الاحتراز عنه بالتنافر وإلا فلا يخل بالفصاحة كيف وقد وقع في القرآن قال الله تعالى والشمس وضحاها الخ فكرر الضمائر وقال ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك وقال واعف عنا واغفر لنا وارحمنا وقال تعالى في تكرير الاضافات : ذكر رحمة ربك عبده زكريا كدأب آل فرعون فائدة : ذكر بعض الفضلاء أن من خصائص القرآن أنه اجتمع فيه ثمان ميمات متواليات ولم يحصل بسببها ثقل على اللسان أصلا بل ازدادت خفة وذلك في قوله تعالى وعلى أمم ممن معك فإن التنوين في أمم والنون في ممن معك يدغمان في الميم بعدها فيصيران في حكم ميم أخرى والميم

المشددة في ممن بميمين وفيه أربع أخر فهذه ثمانية. وقوله سلم أي خلص خبر مبتدإ معلوم من المقام وهو مؤول بمصدر ومن تنافر متعلق به أي والفصاحة في الكلام خلوصه في تنافر الكلم قال :

[وذي الكلام صفة بها يطيق   تأدية المقصود باللفظ الأنيق]

أقول : ذي الكلام معطوف على الكلام في البيت قبله أي والفصاحة في ذي الكلام أي صاحبه وهو المتكلم صفة الخ والمراد بالصفة الملكة ومعنى البيت والفصاحة في المتكلم ملكة يقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح والملكة هي الكيفية الراسخة في النفس والكيفية عرض لا يتوقف صحة تعقله على تعقل غيره ولا يقتضي القسمة واللاقسمة اقتضاء أوليا فخرج بالقيد الأول الأعراض النسبية وهي الاضافة والملك والفعل والانفعال والأين والمتى والوضع وبالقيد الثاني الكم متصلا كان أو منفصلا وبالثالث النقطة وبالقيد الرابع دخل مثل العلم بالمعلومات المقتضية للقسمة واللاقسمة فإن اقتضاء العلم لذلك ثانوي بواسطة المعلوم فعلم أن من تكلم بالفصيح وليس له ملكة غير فصيح ومن له ملكة فصيح تكلم أولا.

قال:

[وجعلوا بلاغة الكلام طباقه لمقتضى المقام]

أقول : بلاغة الكلام مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته وأسقط المصنف هذا القيد لضيق النضم واحترز به عن نحو شعره مستشزرا إذا ألقى إلى خالي الذهن وبقيد المطابقة عن نحو إن زيدا قائم إذا ألقى الخالي الذهن والحال هو الأمر الداعي إلى أن يعتبر مع الكلام الذي يؤدى به أصل المراد خصوصية مّا وهي أي موصوفها مقتضى الحال مثلا كون المخاطب منكرا للحكم حال يقتضي كلاما مؤكدا وهو كلي وهذا الكلي مقتضى الحال وإن زيدا قائم فرد من أفراد ذلك الكلي مطابق له بمعنى أنه مصدوق لذلك الكلي وفرد من أفراده وهذا عكس مطابقة الكلي لجزئياته إذ هي صدقه على كل واحد منها ولم يتكلم المصنف على البلاغة في المتكلم للعلم بها من الفصاحة فيه فهي ملكة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ فعلم مما ذكر في حد البلاغة أن كل بليغ كلاما كان أو متكلما فصيح لجعل الفصاحة شرطا للبلاغة وليس كل فصيح بليغا كلاما أو متكلما لأن الفصيح قد يعري عن المطابقة كما تقدّم ولبلاغة الكلام طرفان أعلى وهو ما يقرب من حدّ الإعجاز وهو أن يرتفع الكلام في بلاغته إلى أن يخرج عن طوق البشر ويعجزهم عن معارضته وخص البشر لأنهم أقوى أصناف المخلوقين على ذلك فإذا عجزوا فغيرهم أولى أو لأنه لم يوجد معاند إلا منهم وأسفل وهو ما إذا غير الكلام عنه إلى ما دونه

أي إلى مرتبة هي أدنى منه التحق وإن كان صحيح الاعراب عند البلغاء بأصوات الحيوانات وبين الطرفين مراتب كثيرة بعضها أعلى من بعض بحسب تفاوت المقامات ورعاية الاعتبارات ويتبعها وجوه أخر غير المطابقة والفصاحة تورث الكلام حسنا وهي أنواع البديع قال :

[وحافظ تأدية المعاني عن خطا يعرف بالمعاني

وما من التعقيد في المعنى يقي له البيان عندهم قد انتقى

وما به وجوه تحسين الكلام تعرف يدعى بالبديع والسلام]

أقول : قد علم مما تقدم أن البلاغة مرجعها أي ما يجب حصوله لتحصل أمران : الأول تمييز الكلام الفصيح من غيره وإلا لربما أدى الكلام المطابق لمقتضى الحال غير فصيح فلا يكون بليغا لوجوب الفصاحة في البلاغة.الثاني الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد وإلا لربما أدى المعنى المراد بلفظ فصيح غير مطابق لمقتضى الحال فلا يكون بليغا أما الأول فبعضه يعرف من علم اللغة وهي الغرابة وبعضه من علم التصريف وهو مخالفة القياس وبعضه من علم النحو وهو ضعف التأليف والتعقيد اللفظي وبعضه يدرك بالحس وهو التنافر فاستغنى عن ذكر ما يعرف به في هذا الكتاب وغيره من كتب البلاغة وهذا الذي يعرف من هذه العلوم ويدرك بالحس ما عدا التعقيد المعنوي فلم يبق مما ترجع إليه البلاغة إلا

الثاني وكذلك ما يحترز به عن التعقيد المعنوي على ما تقدم فوضع للثاني أعني ما يحترز به عن الخطأ في تأدية المعنى المراد علم المعاني ولما يحترز به عن التعقيد المعنوي علم البيان وللوجوه التابعة للبلاغة علم البديع وأشار إلى الأول بقوله: وحافظ البيت وليس في المعاني الأول والثاني الايطاء لاختلاف المعنى لأن الأول جمع والثاني مفرد وللثاني بقوله : وما من التعقيد البيت فقوله يقي أي يحفظ ومن التعقيد ينعلق به وانتفى اختير وللثالث بقوله وما به البيت رما مبتدأ وبه متعلق بيعرف ويدعي أي يسمى خبر ما وقوله والسلام أي على من اتبع الهدى تكميل.

ولما كان هذا التأليف في علم البلاغة وتوابعها انحصر مقصوده في ثلاثة فنون وكثير من الناس يسمي الجميع علم البيان وبعضهم يسمي الأول علم المعاني ويسمي الأخيرين أي البيان والبديع علم البيان والثلاثة علم البديع. أما تسمية الأول بالمعاني فتعلقه بالمعنى لأن به الاحتراز عن الخطأ في المعنى وتسمية الثاني بالبيان فلتعلقه بإيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة لأجل بيان المعنى وإيضاحه. وأما تسمية الثالث بالبديع فلبحثه عن المحسنات ولا شك في بداعتها وظرافتها. وأما تسمية الفنون الثلاثة بالبيان فلأن البيان هو المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير ولا شك في تعلق الثلاثة به تصحيحا وتحسينا. وأما تسمية الفنين الأخيرين

بالبيان فلتغليب حال الفن الثاني على الثالث والأول بالمعاني لما تقدم. وأما تسمية الفنون الثلاثة بالبديع فلأنه لا خفاء في بداعتها وظرافة لطائفها والله سبحانه وتعالى أعلم.

[الفن الأول علم المعاني]

قدمه على علم البيان لكونه منه بمنزلة المفرد من المركب لأن رعاية المطابقة لمقتضى الحال التي هي ثمرة علم المعاني معتبرة في علم البيان مع شيء آخر وهو إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة كالتعبير عن اتصاف زيد بالكرم بزيد كثير الرماد جبان الكلب مهزول الفصيل .

قال:

[علم بع لمقتضى الحال يرى   لفظ مطابقا وفيه ذكرا

إسناد مسند إليه مسند   ومتعلقات فعل تورد

قصر وإنشاء وفصل وصل أو   إيجاز إطناب مساواة رأوا]

أقول : العلم يطلق على ملكة يقتدر بها على إدراك المسائل ويطلق على نفس الادراك ويطلق على نفس المسائل والأنسب بما هنا المعنى الثالث فقوله علم إلي قوله مطابقا تعريف لعلم المعاني وقوله يرى أن يعلم وبه يتعلق به ولفظ نائب فاعل يرى وهو المفعول الأول ومطابقا مفعول ثان وهنا مضاف محذوف أي هو أحوال أي علم يعلم به أحوال

اللفظ التي بها يطابق مقتضى الحال ومقصوده أنه علم يعلم بها أحوال اللفظ التي بها يطابق مقتضى الحال فعلم جنس ويعلم به أحوال اللفظ مخرج لما يعلم به أحوال غير اللفظ كالحساب فإن به يعلم أحوال العدد جمعا وتفريقا وقوله التي بها يطابق مقتضى الحال أي من حيث إن اللفظ يطابق بها لا من حيث ذاتها كالتقديم والتأخير والتعريف والتنكير مخرج للأحوال التي ليست بهذه الصفة كالرفع والنصب ولعلم البيان لأن البحث فيه عن أحوال اللفظ لا من الحيثية المذكورة وكذلك المحسنات البديعية كالتجنيس ونحوه مما يعتبر بعد رعاية المطابقة والتحقيق في مقتضى الحال أنه ذو الأحوال وقوله وفيه ذكرا الخ أشار به إلى أن هذا العلم بجملته منحصر في ثمانية أبواب انحصار الكل في أجزائه ووجه الإنحصار أن الكلام إما خبر أو إنشاء الأول لابد له من إسناد ومسند إليه ومسند فهذه ثلاثة أبواب والمسند قد يكون له متعلقات إذا كان فعلا أو ما في معناه وهو الباب الرابع وكل من التعلق والاسناد قد يكون بقصر وقد لا يكون وهو الباب الخامس والثاني هو الباب السادس والجملة إن قرنت بأخرى فالثانية إما معطوفة على الأولى أولا وهما الفصل والوصل وهو الباب السابع والكلام البليغ إما ناقص عن أصل المراد أو زائد أو مساو والأول الإيجاز والثاني الإطناب والثالث المساواة وهو

الباب الثامن وأما وجه إفراد كل واحد من هذه بباب ففي المطوّل على الأصل الكلام إما خبر وهو ما احتمل الصدق والكذب لذاته كزيد قائم وإما إنشاء وهو بخلافه كاعلم واعمل ولا ثالث لهما خلافا لبعض النحاة القائل بأن الطلب قسم ثالث لدخوله في الإنشاء قال:

[الباب الأول

أحوال الإسناد الخبري]

أقول : الاسناد ضم كلمة أو ما يجري مجراها إلى أخرى بحيث يفيد الحكم بأن مفهوم إحداهما ثابت لمفهوم الأخرى أو منفي عنها فقولنا أو ما يجري مجراها لادخال نحو زيد قام أبوه وبحيث يفيد الحكم الخ لاخراج الاسناد الانشائي والمراد بالمفهوم ما يفهم من الكلمة فلا يرد أن المعتبر من جانب الموضوع الذات ومن جانب المحمول المفهوم لأن الذات أيضا مما يفهم من اللفظ وقدم بحث الخبر على بحث الانشاء لعظم شأنه ولتفرع الانشاء عليه في نحو زيد في الدار وأزيد فيها وقدم أحوال الاسناد على أحوال المسند إليه والمسند مع تأخير النسبة عن الطرفين لأن البحث إما هو عن أحوال اللفظ الموصوف بكونه مسندا إليه أو مسندا وهذا الوصف إنما يتحقق بعد تحقق الاسناد والمتقدم على النسبة ذات الطرفين ولا بحث لهم عنها والخبري نسبة للخبر وتقدم أنه ما احتمل

الصدق والكذب. وفي حدّ الصدق والكذب أقوال أربعة : الأول وهو أصحها أن الصدق مطابقة حكم الخبر للواقع والكذب عدم مطابقته له ولو كان الاعتقاد بخلاف ذلك في الحالين.الثاني وهو للنظام أن الصدق المطابقة لاعتقاد المخبر ولو خطأ والكذب عدم مطابقته للاعتقاد ولو صوابا وما لا اعتقاد معه على هذا القول داخل في الكذب لا واسطة. الثالث وهو للجاحظ أن الصدق المطابقة للخارج مع اعتقاد المخبر المطابقة والكذب عدم المطابقة للواقع مع اعتقاد عدمها وما عدا ذلك ليس بصدق ولا كذب أي واسطة بينهما وهو أربع صور: المطابق ولا اعتقاد لشيء والمطابق مع اعتقاد عدم المطابقة وغير المطابق مع اعتقاد المطابقة وغيره ولا اعتقاد. القول الرابع للراغب وهو مثل قول الجاحظ عبر أنه وصف الأربع صور بالصدق والكذب باعتبارين فالصدق باعتبار المطابقة للخارج أو للاعتقاد والكذب من حيث انتفاء المطابقة للخارج أو للاعتقاد واستدل النظام بقوله تعالى - إن المنافقين لكاذبون - أي في قولهم إنك لرسول الله لعدم مطابقته لاعتقادهم ورد استدلاله بأن المراد لكاذبون في الشهادة : أي في ادّعائهم مواطأة القلب للسان لتضمن قولهم إنك الخ شهادتنا من صميم القلب وهذا كذب واستدل الجاحظ بقوله تعالى - افترى على الله كذبا أم به جنة - لأن الاخبار حال الجنة غير

الكذب لأنه قسيمة وغير الصدق لأنهم يعتقدون عدم صدقه فثبتت الواسطة وردّ بأن المعنى أم لم يفتر فعبر عن عدم الإفتراء بالجنة من جهة أن المجنون لا افتراء له لأن الافتراء الكذب عن عمد فهذا حصر للخبر الكاذب بزعمهم في نوعيه أي الكذب عن عمد ولا عن عمد.

قال:

[الحكم بالسلب أو الإيجاب إسنادهم وقصد ذي الخطاب

إفادة السامع نفس الحكم أو كون مخبر به ذا علم

فأول فائدة والثاني لازمها عند ذوي الأذهان]

أقول : إسنادهم أي الخبري بدليل ما في الترجمة معرف والحكم بالسلب أو الإيجاب تعريف والمراد الحكم بأن النسبة واقعة كزيد قائم أو ليست بواقعة كزيد ليس بقائم ولا مخالفة بين هذا التعريف وما تقدّم لمراعاة المعنى هنا واللفظ هناك لأن الخبر يكون معقولا وملفوظا فالتعريفان بالاعتبارين وقوله وقصد إلى آخر البيت. الثاني المراد بذي الخطاب المخبر: أي الذي هو بصدد الاخبار والاعلام لا كل مخبر إذ قد يكون مقصود المخبر إظهار الضعف نحو: رب إني وهن العظم مني أو التحزن والتحسر نحو: رب إني وضعتها أنثى إذ المولى سبحانه عالم بالفائدة ولازمها في الخبرين أي قصد المخبر بخبره أحد أمرين إما الحكم

أي النسبة بين الطرفين المحكوم بها كقولك زيد قائم لمن لم يعلم قيامه أو كونه عالما به كقولك ذلك للعالم به قاصدا إعلامه بأنك عالم بذلك ويسمى الأول فائدة الخبر لأن من شأنه أن يستفاد من الخبر وإن استفيد من غيره والثاني لازمها لأنه كلما أفاد الحكم أفاد أنه عالم به وليس كلما أفاد أنه عالم بالحكم أفاد نفس الحكم لجواز أن يكون الحكم معلوما قبل الاخبار كما تقدّم. قال: [وربما أجري مجرى الجاهل مخاطب إن كان غير عامل كقولنا لعالم ذي غفلة الذكر مفتاح لباب الحضرة] أقول : قد ينزل المخاطب العالم بفائدة الخبر ولازمها أو بإحدهما منزلة الجاهل كقولك لتارك الصلاة وهو يعتقد وجوبها الصلاة واجبة لعدم جريه على موجب العلم لأن من لم يعمل بعلمه هو والجاهل سواء وكقولنا للعالم الغافل عن ذكر الله تعالى مع علمه بأنه وسيلة إلى حضرة المذكور الذكر مفتاح لباب الحضرة: أي الإلهية والمراد بالحضرة ويعبر عنها بحضرة القدس وهي الحالة التي إذا وصل إليها السالك سمي عرفا وواصلا أن يكون في حالة لا يرى فيها إلا المولى سبحانه وتعالى فانيا عن الأكون متوجها بقلبه إلى الرحمن متلقفا ما يلقيه المولى سبحانه وتعالى في قلبه من لطائف العرفان ولا شك أن الوسيلة إلى هذه الحالة ذكر المولى سبحانه وتعالى قال المصنف في شرحه والغرض من المثال المذكور في البيت ترغيب طالب

العلم في الدخول في حضرة المنقطعين إلى الله تعالى الذين تلذذوا بعبادة ربهم وهم في الدنيا متنعمون بما يرد على قلوبهم من المعارف وما يتجلى لهم من صفات الجلال والجمال وفي الآخرة أسعد وأفضل وتحديره من الغفلة التي قطعت ظهور كثير من طلبة العلم وطمست بصائرهم حتى توهموا أن العلم مقصود بالذات وما هو مطلوب إلا للعمل إذ لا يصحّ إلا به فليحذر طالب العلم من الغفلة وليأخذ نصيبه من الأوراد من بدايته إلي نهايته بقدر ما لا يشغله عن العلم فإن الله سبحانه وتعالى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا فمن زعم أن الأوراد وإن قلت تشغله فذلك من تسويل الشيطان ومن علامات الطرد والخذلان اه.

قال :

[فينبغي اقتصار ذي الأخبار   على المفيد خشية الإكثار

فيخبر الخالي بلا توكيد   ما لم يكن في الحكم ذا ترديد

فحسن ومنكر الاخبار   حتم له بحسب الانكار

كقوله إنا إليكم مرسلون   فزاد بعد ما اقتضاه المنكرون

ثم الطلب   تمت الإنكار الثلاثة أنسب]

أقول : الفاء تفريعية أي إن كان قصد المخبر بخبره إفادة المخاطب

فينبغي له أن يقتصر في التركيب على قدر الحاجة فإن كان المخاطب خالي الذهن من الحكم والتردّد فيه أي غير عالم بوقوع النسبة أو لا وقوعها ولا مترددا في أنها واقعة أو غير واقعة يلقى له الخبر غير مؤكد فيقول له زيد قائم مثلا ولا يزيد على ذلك لئلا يكون مكثرا عليه بلا فائدة وإن كان مترددا في الخبر طالبا له حسن الإتيان بمؤكد واحد نحو لزيد قائم وإن كان منكرا وجب توكيده بحسب الإنكار أي بقدره قوّة وضعفا فكلما زاد الإنكار زاد في التوكيد كقوله تعالى حكاية عن رسل عيسى إذ كذبوا في المرة الأولى : إنا إليكم مرسلون فأكد بأن وأسمية الجملة وفي المرة الثانية : ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون فأكد بالقسم المشار إليه بربنا يعلم وإن واللام واسمية الجملة لمبالغة المخاطبين في الانكار حيث قالوا : ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون ويسمى الضرب الأول ابتدائيا والثاني طلبيا والثالث إنكاريا وهذا معنى قوله للفظ الابتداء ثم الطلب البيت ويسمى إخراج الكلام على هذه الوجوه أي الخلوُّ عن التوكيد في الأول والتقوية بمؤكد استحسانا في الثاني ووجوب التوكيد بحسب الإنكار في الثالث إخراجا على مقتضى الظاهر وهو أخصّ مطلقا من مقتضى الحال قال :

[واستحسن التوكيد إن لوّحت له بخبر كسائل في المنزلة وألحقوا

أمارة الإنكار به كعكسه لنكتة لم تشتبه]

أقـول : تقـدّم أن إخراج الكلام على الوجوه المتقـدمة إخراج على مقتضى الظاهر وقد يخرّج الكلام على خلافه فيؤتى بمؤكد استحسانا لخالي الذهن إذا قدم إليه ما يلوّح بالخبر فيستشرف له استشراف المترددالطالب نحو : ولا تخاطبني في الذين ظلموا أي لا تدعني يا نوح في شأن قومك فهذا الكلام يلوح بالخبر ويشعر بأنه قد حق عليهم العذاب لأن النهي مشوف للنفس عادة إلى طلب السبب فصار المقام مقام أن يتردد المخاطب في أنهم هل صاروا محكوما عليهم بالاغراق أم لا فقيل إنهم مغرقون بالتأكيد وهذا معنى قوله واستحسن البيت والضمير في له للمخاطب وقوله كسائل أي كطالب في المنزلة أي منزلا له منزلة الطالب للخبر ويجعل المقرّ كالمنكر إذا ظهر عليه شيء من أمارات الانكار فيؤكد له الكلام تأكيد المنكر نحو: جاء شقيق عارض رمحه * إن بنى عمك فيهم رماح فشقيق لا ينكر أن في بني عمه رماحا لكن مجيئه واضع الرمح على العرض من غير التفات وتهيؤ أمارة أنه يعتقد أن لا رمح فيهم بل كلهم عزل أي لا سلاح معهم فنزل منزلة المنكر وأكد له الخطاب وهذا معنى قوله: وألحقوا أمارة الإنكار به أي بالإنكار أي ألحقوا عدم الإنكار المصاحب لأمارة الإنكار بالإنكار وقوله كعكسه أي جعل المنكر

كالمقر إذا كان معه دلائل وشواهد لو تأملها ارتدع عن إنكاره فلا يؤكد له وهو المراد بقوله : لنكتة لم تشتبه كقولك لمنكر الاسلام حق بلا تأكيد لأن مع المنكر دلائل ودالة على حقيقة الإسلام وأما تمثيل الأصل بقوله تعالى : لا ريب فيه فليس في هذا القبيل بل تنظير للمسألة بتنزيل وجود الشيء منزلة عدمه بناء على وجود ما يزيله فإنه نزل ريب المرتابين منزلة عدمه تعويلا على ما يزيله حتى صح نفي الريب على سبيل الاستغراق كما نزل الانكار منزلة عدمه لذلك حتى صح ترك التأكيد.

قال :

[بقسم قد إنّ لام الابتداء ونوني التوكيد واسم أكدا.

والنفي كالإثبات في ذا الباب يجري على الثلاثة الألقاب

بان وكان لام أو باء يمين كما جليس الفاسقين بالأمين]

أقول : بين بعض ما يؤكد به الخبر فالقسم نحو والله زيد قائم وقد نحو قد قام زيد وإن نحو إن زيدا قائم ولام الابتداء نحو لزيد قائم ونوني التوكيد نحو ليقومنّ زيد بتشديد النون وتخفيفها والاسم أي اسمية الجملة نحو زيد عالم فقوله بقسم متعلق بأكدا آخر البيت وألفه للاطلاق أو مبدلة من نون التوكيد الخفيفة أي أكدن بقسم وقد الخ المعطوفات بحرف العطف المحدوف وقوله والنفي البيت يعني أن الخبر المنفي كالخبر

المثبت في وجوهه الثلاثة المتقدمة من التجريد عن المؤكدات في الابتداء وتقويته بمؤكد استحسانا في الطلبي ووجوب التأكيد بحسب الانكار في الانكاريّ وفي الاخراج على خلاف مقتضى الظاهر تقول لخالي الذهن ما زيد قائما وللطالب ما زيد بقائم وللمنكر واللّه ما زيد بقائم ومن هذه تعلم أمثلة الخروج عن مقتضى الظاهر في النفي والألقاب الأنواع وقوله بان وكان البيت إشارة إلى بعض مؤكدات الخبر في النفي وهي إن الزائدة نحو ما إن زيد قائم وكان نحو ما كان زيد قائما ولام الجحود نحو ما كان زيد ليقوم والباء نحو ما زيد بقائم ومنه مثال الكتاب وهو ما جليس الفاسقين بالأمين أي على الشريعة لأن من تخلق بحالة لا يخلو حاضره منها واليمين نحو والله ما زيد قائما قال : [فصل في الاسناد العقلي]

[والحقيقة مجاز وردا للعقل منسوبين أما المبتدأ

إسناد فعل أو مضاهيه إلى صاحبه كفاز من تبتلا

أقسامه من حيث الاعتقاد وواقع أربعة تفاد]

أقول : الفصل معناه لغة القطع، واصطلاحا جملة من الكلام ويعبر عنها تارة بالكتاب وتارة بالباب فإن جمع بين الثلاثة كان الأول والثالث مندرجين تحت الثاني والأول مندرجا تحت الثالث وهذا الفصل معقود لبيان أن الاسناد مطلقا ينقسم إلى الحقيقة العقلية والمجاز العقلي وأقسام

كل فالحقيقة العقلية إسناد الفعل أو ما في معناه كالمصدر وإسم الفاعل وإسم المفعول والصفة المشبهة وإسم التفضيل والظرف إلى ما هو له عند المتكلم في الظاهركالفاعل فيما بني له نحو ضرب زيد عمرا والمفعول فيما بني له نحو ضرب عمرو فإن الضاربية لزيد والمضروبية لعمرو بخلاف نحو نهاره صائم فعند المتكلم مدخل لما يطابق الاعتقاد دون الواقع وفي الظاهر مدخل لما لا يطابق الاعتقاد وكل منهما متعلق بله ومعنى كونه له أن معناه قائم به وحقه أن يسند إليه سواء كان صادرا عنه باختياره أو بغير اختياره نحو ضرب زيد ومات عمرو على ما فيه ومنه مثال الكتاب وبمقتضى هذا التعريف تكون أقسام الحقيقة العقلية من جهة الواقع والاعتقاد أربعة : الأول ما طابق الواقع والاعتقاد كقولنا معاشر المؤمنين أنبت الله البقل. الثاني ما طابق الاعتقاد فقط كقول الجاهل أي الكافر أنبت الربيع البقل. الثالث ما طابق الواقع فقط كقول المعتزليّ لمن لا يعرف حاله وهو يخفيها عنه خلق الله الأفعال كلّها. الرابع ما لا يطابق واحدا منهما كقوله جاء ريد وأنت تعلم أنه لم يجئ دون المخاطب قوله ولحقيقة، الظاهر أنه متعلق باثنين محذوفا ومجازا معطوف بعاطف محذوف ومنسوبين حال من ضمير ورد البارز وللعقل متعلق به أي فيقال حقيقة عقلية ومجاز عقلي ويصح تعليقه بورد العائد ضميره

للاسناد وألفه للاطلاق ومنسوبين صفة لهما وللعقل متعلق به أي ورد الاسناد إلي حقيقة وإلى مجاز منسوبين للعقل وقوله أما المبتدأ أي الحقيقة العقلية وقوله أو مضاهيه أي مشابهه في الدلالة على الحدث وفاز من تبتلا أي أفلح من انقطع إلى مولاه والتبتل قسمان تبتل البداية وهو الانقطاع عن الخلق بالعزلة وهو وصف المريدين وتبتل النهاية وهو خلوّ القلب وانقطاعه عن السوى وهو وصف الواصلين وقوله أقسامه الضمير للمبتدإ ولو نظر للمراد به وهو الحقيقة لأنث الضمير كما هو ببعض النسخ ولم يأت المصنف بأداة حصر ليفيد أن بعض الإسناد ليس بحقيقة ولا مجاز نحو الانسان حيوان لعدم كون المسند فعلا أو ما في معناه. واعلم أن الحقيقة والمجاز يتصف بهما الاسناد أوّلا وبالذات واللفظ ثانيا وبالعرض وبذلك ناسب ذكرهما في فنّ المعاني الباحث عن أحوال اللفظ التي بها يطابق مقتضى الحال وقد تبع الأصل في إيرادهما هنا وفيه نظر يعلم من المطوّل وأن الحقيقة تنقسم أربعة أقسام باعتبار الطرفين لأنهما إما مستعملان في حقيقتهما اللغوية أو مجازهما أو المسند إليه في حقيقته والمسند في مجازه أو عكسه فالأول نحو خلق الله زيدا والثاني نحو أحيا البحر زيدا تريد أعطى الكريم زيدا والثالث نحو أحيا الإله البقل والرابع نحو جاء زيد وأنت تريد غلامه. قال :]والثاني أن يسند

للملابس ليس له يبنى كثوب لابس أقسامه بحسب النوعين في جزءيه أربع بلا تكلف] أقول : مراده بالثاني المجاز العقلي وهو إسناد الفعل أو شبهه إلى ملابس بالفتح له غير ما هو له بتأويل أي غير الملابس الذي ذلك الفعل أو معناه مبني له أي غير الفاعل في المبني للفاعل وغير المفعول به في المبني للمفعول به ومعنى التأويل نصب قرينة صارفة عن كون الاسناد إلى ما هو له فخرج قول الكافر أنبت الربيع البقل لأنه معتقده وكذا الأقوال الكاذبة وهذا معنى قوله والثاني أن يسند أي الفعل الخ وللفعل ملابسات شتى واقتصر الأصل عليه وإن كان ما في معناه كاسم الفاعل كذلك لأنه الأصل. يلابس الفاعل لوقوعه منه والمعقول به لوقوعه عليه والمصدر لأنه جزء معناه الزمان والمكان لوقوعه فيهما والسبب لأنه يحصل به فاسناده إلى الفاعل أو المفعول إذا كان مبنيا له حقيقة كما مرّ وإلى غيرهما أي غير الفاعل في المبني للفاعل وغير المفعول به في المبني للمفعول لجامع بينهما وهو ملابسة كل منهما للفعل مجازا كقولهم عيشة راضية فيما بني للفاعل وأسند للمفعول به إذا العيشة مرضية وحقيقة الكلام رضي المرء عيشته ثم أسند الفعل إلى المفعول من غير أن يبنى له فبقى رضية العيشة وهو معنى كونه مجازا ثم سبك من الفعل المبني للفاعل إسم فاعل وأسند إلى ضمير العيشة فآل

الأمر إلي أن صار المفعول فاعلا ومنه مثال الكتاب وهو ثوب لابس والأصل لبس زيد ثوبا ثم أسند الفعل إلى المفعول في التقدير من غير أن يبنى له فصار لبس ثوب ثم سبك من الفعل إسم فاعل وقيل ثوب لابس وسيل مفعم فيما بنى للمفعول وأسند إلى الفاعل وحقيقة الكلام أفعم السيل الوادي أي ملأه فأسند الفعل إلى المفعول في التقدير من غير أن يبنى له فصار الكلام هكذا أفعم الوادي السيل ثم حذف الفاعل وأقيم المفعول مقامه وبني الفعل له فصار أفعم السيل وهم معنى كونه مجازا نظرا إلى التركيب الأول ثم سبك منه إسم مفعول وقيل سيل مفعم بفتح العين فأسند إسم المفعول إلى ضمير المفعول الذي كان في الأصل فاعلا وجدّ جدّه في المصدر حقيقته جدّ الرجل في جدّه فحذف الفاعل وأسند الفعل المبني له إلى المصدر مبالغة فصار جدّ جدّه مجازا لأن الجادّ هو صاحب الجدّ أي من قام به الجدّ لا نفس الجد ونهاره صائم في الزمان، حقيقته صام المرء نهاره أي في نهاره ثم حذف الفاعل وأسند الفعل المبني له إلى الزمان فصار صام نهاره وهذا معنى كونه مجازا ثم سبك من الفعل إسم فاعل وأخبر به عن النهار فقيل نهاره صائم فإسناد الصوم إلى ضمير النهار مجاز لأن الصائم هو الشخص ونهر جار في المكان وحقيقته جرى ماء النهر أي في النهر فحذف الفاعل وأسند فعله إلى المكان. وقيل جرى

النهر وهذا معنى كونه مجازا ثم سبك من الفعل إسم فاعل وأسند إلى ضمير النهر إسنادا مجازيا لأن الجاري الماء في النهر لا النهر وبنى الأمير المدينة في السبب. وحقيقته بنت الفعلة المدينة بسبب أمر الأمير فحذف الفاعل وأسند فعله إلى الأمير، فقيل بنى الأمير المدينة وهذا معنى كونه مجازا و المجاز العقلي يجري أيضا في النسبة الاضافية نحو أعجبني إنبات الربيع البقل وفي الإيقاعية نحو : ولا تطيعوا أمر المسرفين فيكون معنى قوله أن يسند الخ مطلق النسبة إسنادية كانت أو إضافية أو إيقاعية ولا يضرنا اقتصاره على التمثيل بالنسبة الاسنادية لاتيانه بالكاف التي لا تفيد الحصر. وقوله أقسامه الخ يعني أن المجاز ينقسم إلى أربعة أقسام باعتبار طرفيه لأنهما إما حقيقتان لغويتان أو مجازان أو المسند إليه حقيقة والمسند مجاز أو عكسه. مثال الأول أنبت الربيع البقل ومثال الثاني أحيا الأرض شباب الزمان لأن المراد بإحيائها نضارتها بأنواع الرياحين والنبات والأحياء في الحقيقة إعطاء الحياة وهو صفة تقتضي الحس والحركة وكذلك المراد بشباب الزمان زمان ازدياد قواها النامية وهو في الحقيقة عبارة عن كون الحيوان في زمان كون حرارته الغريزية مشبوبة أي قوية مشتعلة. ومثال الثالث أحيا الأرض الربيع ومثال الرابع أنبت البقل شباب الزمان ومراد المصنف بالنوعين

الحقيقة والمجاز بالجزءين المسند إليه والمسند. واختلف في المجاز العقلي وفي المفرد هل وقعا في القرآن أم لا فذهب قوم إلى الأول وآخرون إلى الثاني والصحيح الأول وهو مختار الأصل قال تعالى - وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا ، يذبح أبناءهم، يوما يجعل الولدان شيبا ويكون في الإنشاء كقوله تعالى - ياهامان ابن لي صرحا - ولينبت الربيع ما شاء وليصم نهارك ونحو ذلك قال : [ووجبت قرينة لفظيه * أو معنوية وإن عادية] أقول المجاز العقلي لابد له من قرينة. وهي ما دل على المراد لا بالوضع وهي إما لفظية كقولك شيب رأسي توالي الهموم والأحزان ولكن الله يفعل ما يشاء وإما معنوية وهي أنواع كاستحالة قيام المسند بالمسند إليه عقلا نحو محبتك جاءت بي إليك لظهور استحالة قيام المجيء بالمحبة لأن العرض لا يقوم بالعرض أو عادة نحو هزم الأمير الجند لاستحالة قيام هزم الجند بالأمير وحده عادة وإن كان ممكنا عقلا أو صدوره من الموحد في مثل أنبت الربيع البقل ثم الفعل في المجاز العقلي يجب أن يكون له فاعل أو مفعول به إذا أسند إليه يكون حقيقة فمعرفة ذلك قد تكون ظاهرة كقوله تعالى -فما ربحت تجارتهم - أي فما ربحوا في تجارتهم وقد تكون خفية لا تظهر إلا بعد نظر و تأمل نحو سرّتني رؤيتك أي سرني الله وقت رؤيتك وهذا مذهب الأصل. وقال الشيخ عبد

القاهر لا يجب في المجاز العقلي أن يكون الفعل له فاعل إذا أسند إليه أن يكون الاسناد حقيقة فإنه ليس لسرتني ونحوه فاعل يكون الاسناد إليه حقيقة وبيان مراده مذكور في المطوّلات. وأنكر السكاكي المجاز العقلي وقال الذي عندي نظمه في سلك الاستعارة بالكناية بجعل الربيع مثلا في المثال استعارة عن الفاعل الحقيقي بواسطة المبالغة في التشبيه وجعل نسبة الانبات إليه الذي هو من لوازم الفاعل الحقيقي قرينة الاستعارة ورده الأصل بوجوه لم تسلم له ليس هذا الاختصار محل بسطها فليرجع إلى الأصل وشرحه للسعد من أراد الوقوف على ذلك قال:

[الباب الثاني : في المسند إليه]

أي بيان أحوال المسند إليه أي الأمور العارضة له من حيث إنه مسند إليه كالحذف والذكر والتعريف والتنكير وغير ذلك وقدمه على المسند لأنه كالموصوف والمسند كالصفة والموصوف أجدر بالتقديم لأنه الموضوع والصفة هي المحمول والأول أشرف من الثاني لأنه الركن الأعظم في الكلام قال :

[يحذف للعلم والاختبار	مستمع وصحة الإنكار
ستر وضيق فرصة إجلال	وعكسه ونظم استعمال

كحبذا طريقة الصوفية تهدي إلى المرتبة العليه]

أقول : قدم حذف المسند إليه على سائر أحواله لكون الحذف عبارة عن عدم الإتيان به وعدم الحادث سابق على وجوده. وفي المسند إليه باعتبار أحواله أبحاث : البحث الأول في حذفه وحذفه يتوقف على أمرين أحدهما قابلية المقام له بأن يكون السامع عارفا به بقرينة ثانيهما ما يقتضي رجحان الحذف على الذكر والأوّل معلوم من النحو وأشار إلى تفصيل الثاني بقوله يحذف الخ فمن مرجحات الحذف العلم بالمسند إليه بالقرينة كقولك عابد في جواب من قال لك ما حرفة زيد. ومنها اختبار تنبه السامع عند القرينة هل يتنبه أم لا. ومنها اختبار مقدار تنبهه بالقرائن الخفية أم لا. ومنها صحة الإنكار عند الحاجة نحو فاجر فاسق عند قيام القرينة على إرادة زيد ليتأتي أن تقول ما أردت زيدا بل غيره ومنها قصد ستره وإخفائه على غير المخاطب من الحاضرين نحو جاء تريد زيدا لمن عرفه معك. ومنها ضيق الفرصة وهي المبادرة أي ضيق زمانها كقول الصياد غزال أي هذا غزال ومنها إجلاله وتعظيمه بصونه عن لسانك ومنها تحقيره بصون لسانك عنه. ومنها ضرورة النظم من جهة الوزن أو القافية وفي معناه ضرورة السجع ومنها اتباع استعمال العرب كقولهم رمية من غير رام أي هذه رمية وهو مثل يضرب لمن يقع منه

الفعل وهو غير أهل له ومن ذلك المواضع التي يجب فيها حذف المبتدإ وذكر المصنف منها موضعا وهو ما إذا كان الخبر مخصوص نعم نحو نعم الرجل زيد فزيد خبر مبتدإ محذوف وجوبا في بعض الأوجه ومنه طريقة في قوله * حبذا طريقة الصوفية * فإنه خبر لمبتدإ محذوف وجوبا وإنما كانت طريقة الصوفية محمودة لأنها توصل إلي المرتبة العلية وهو مقام الاحسان وهو أن تعبد الله كأنك تراه لأن طريقتهم عبارة عن صفاء الباطن والوقوف عند الأمر والنهي فينبغي لكل طالب علم أن يسلكها فإنه وإن لم يصل إلى غايتها العظمى وهي معرفة الله جل جلاله فلا أقل من الدخول في دائرة الورع ورقة القلب والتخلق بالأخلاق المحمودة والسلامة من حظوظ النفس والتهاون بالحقوق الشرعية قال المصنف في شرحه وكلّ من أعرض عن هذا العلم جملة لا يخلو من الفسق وضيعة العمر والرغبة في الدنيا ومن لا قدم له في علم التصوف يخشى عليه من سوء الخاتمة اهـ. قال:

[واذكره للأصل والاحتياط غباوة إيضاح انبساط

تلذذ تبرك إعظام إهانة تشوق نظام

تعبد تعجب تهويل تقرير أو إشهاد أو تسجيل]

أقول البحث الثاني في ذكره وله مرجحات منها أن ذكره الأصل ولا

مقتضى للعدول عنه من قرينة أو غيرها. ومنها الاحتياط لضعف التأويل على القرينة بسبب ضعفها أو ضعف فهم المخاطب. ومنها غباوة السامع كقولك لعابد الصنم الصنم لا يضرّ ولا ينفع. ومنها الايضاح كقولك زيد عندي لمن قال أين زيد. ومنها الانبساط أي بسط الكلام في مقام يكون إصغاء السامع مطلوبا للمتكلم لعظمته وشرفه في نحو هي عصاي. ومنها التلذذ نحو الحبيب راض. ومنها التبرك نحو محمد صلى الله عليه وسلم وسيلتنا إلى ربنا.. ومنها التعظيم نحو محمد شفيعنا. ومنها الاهانة نحو العاصي ذليل. ومنها التشوق إلى مسماه نحو محمد أفلح من رآه. ومنها ضرورة النظم إلى وزن أو قافية وفي معناه ضرورة السجع. ومنها التعبد بذكره كالله أكبر في النحر ونحوه. ومنها التعجب نحو زيد يقاوم الأسد. ومنها التهويل والتخويف كقولك لمن تعظه الله ربنا أمر بهذا. ومنها التقرير أي التمكن في نفس السامع نحو أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ففي تكرير إسم الإشارة تنبيه على أنه كما خصصهم بالهدى في الدنيا خصصهم بالفلاح بالآخرة . ومنها الاشهاد في قضية نحو زيد تسلف مني أو التسجيل أي الضبط على السامع في وثيقة حتى لا يكون له سبيل إلى الانكار كقول الموثقين باع فلان وأجر فلان ونحوه هذا حاصل ما في هذه الأبيات والنظام في كلامه جمع نظم

وغباوة وما بعده معطوف بحرف العطف المحذوف إلا الأخيرين.

قال :

[وكونه معرّفا بمضمر بحسب المقام في النحو درى

والأصل في المخاطب التعيين والترك للشمول مستبين]

أقول : البحث الثاني في تعريفه أي إيراده معرفة وهو ما وضع ليستعمل في شيء بعينه وقدم المصنف هنا التعريف وفي المسند التنكير لأن الأصل في المسند إليه التعريف وفي المسند التنكير والاتيان بالمسند إليه معرفة لافادة المخاطب أتم فائدة لأن النكرة وإن أمكن أن تخصص بالوصف بحيث لا يشاركها فيه غيرها كقولك أعبد إلها خلق السماء والأرض لا يكون في قوة تخصيص المعرفة لأنه وضعي بخلاف تخصيص النكرة.

والتعريف يكون على وجوه على وجوه متفاوتة تتعلق بها أغراض مختلفة: أما تعريفه بالاضمار فلكون المقام مقام تكلم نحو أنا ضربت أو خطاب نحو أنت ضربت أو غيبة نحو هو ضرب لتقدم ذكره إما لفظا تحقيقا نحو جاء زيد وهو راكب أو تقديرا نحو جاء وهو راكب زيد، وإما معنى لدلالة لفظ عليه نحو اعدلوا هو أقرب للتقوى فضمير هو راجع للعدل المفهوم من اعدلوا أو قرينة حال نحو حتى توارت بالحجاب فسياق الكلام الدالّ على فوات وقت الصلاة مع قرينة ذكر العشى والتواري

بالحجاب يدل على أن الضمير راجع للشمس وإما حكما نحو ضمير الشأن وضمير رب نحو قل هو الله أحد وربه رجلا واصلا الخطاب أن يكون لمعين واحدا كان أو أكثر لأن وضع المعارف على أن تستعمل لمعين وقد لا يقصد به معين ليعم كل مخاطب على سبيل البدل نحو فلان لئيم إن أكرمته أهانك وإن أحسنت إليه أساء إليك لا تريد به مخاطبا بعينه بل تريد إن أكرم أو أحسن إليه ومنه قوله تعالى: ولو ترى إذا وقفوا على النار ونحوه أخرج على صورة الخطاب ليعم إذ المراد أن حالهم تناهت في الظهور بحيث لا تختص براء دون آخر فلا يختص بالخطاب مخاطب دون مخاطب بل كل من تتأتى منه الرؤية فله مدخل فيه. فإن قلت : إن هذا مشكل من جهة أنه يزيل اختصاص الضمير ويجعله شائعا فيكون نكرة والضمير لا يكون إلا معرفة. فالجواب أنه جمع بين الحقيقة والمجاز فخوطب الجميع ليكون الخطاب لواحد حقيقة ولغيره مجازا ولا يضرنا عدم التعين في الخارج لأن التعين مطلق. وقوله التعين والترك أي ترك التعيين مستبين أي ظاهر لأجل الشمول قال :

[وكونه بعلم ليحصلا   بذهن سامع بشخص أولا
تبرك تلذذ عناية   إجلال أو إهانة كناية]

أقول : من مرجحات كون المسند إليه علما أي شخصيا إحضاره

بعينه في ذهن السامع ابتداء باسمه الخاص به فاحترز بعينه أي شخصه
عن إحضاره باسم جنسه نحو رجل عابد زارني وبابتداء أي أول مرة عن
نحو جاءني زيد وهو راكب فإنه وإن حصل فيه الاحضار في ذهن السامع
بواسطة العلم أيضا لكن لا ابتداء بل ثانيا وباسمه الخاص به عن
إحضاره بضميره أو إشارته أو غير ذلك نحو قوله تعالى: قل هو الله أحد
ومنها التبرك نحو : محمد رسول الله. ومنها التلذذ بذكره نحو محمد
يجب على كل أحد محبته. ومنها الاعتناء بشأنه إما لترغيب أو تحذير
أو تنبيه وهو المراد بقوله عناية، مثال الأول زيد صديقك فلا تهمله،
ومثال الثاني زيد مخادع فلا تركن إليه، ومثال الثالث زيد لا ينبغي
الاجتماع عليه ومن ذلك التفاؤل نحو سعد في دارك والتطير أي التشاؤم
نحو السفاح في دارك أو التسجيل على السامع وغيره كما تقدم. ومنها
التعظيم نحو محمدسيد الأنام. ومنها الإهانة نحو مسيلمة كذاب.ومنها
الكناية عن معنى يصلح له العلم نحو أبو لهب فعل كذا كناية عن
كونه جهنميا بالنظر إلى الوضع الأول الاضافي لا الثاني القلبي لأن معناه
ملازم النار وملا بسها ويلزمه أنه جهنمي فيكون انتقالا من الملزوم إلى
اللازم وهذا القدر كاف في الكناية وليس المراد أن واضع هذه الكنية لحظ
من المكنى بهاذلك المعنى لغة لأن الظاهر خلافه إذا قيل إنما سمي بذلك

لأن لونه كان ملتهبا والمراد بأبي لهب في المثال الشخص المعلوم ومن فهم خلاف ما تلوته عليك فيكفيه رد السعد عليه في شرح الأصل.

قال :

[وكونه بالوصل للتفخيم تقرير أو هجنة أو توهيم

إيماء أو توجه السامع له أو فقد علم سامع غير الصلة]

أقول : من مرجحات كون المسند إليه إسما موصولا التفخيم وقدمه على إسم الإشارة أعرف منه لمعرفة السامع مدلوله بالقلب والبصر بخلاف الموصول عملا بقوله في الخطبة * سلكت ما أبدى من الترتيب * فهو تابع ولا لوم على التابع نحو - فغشيهم في اليمّ ما غشيهم أي موج عظيم لا يكتنه كنهه ولا يمكن وصفه فإن هذا الإبهام من التفخيم ما لا يخفى فلو قيل فغشيهم الغرق لم يفد هذا التفخيم ومنها تقرير الغرض المسوق له الكلام أي زيادة التقرير والتقوية وقيل تقرير المسند. وقيل المسند إليه نحو وراودته التي هو في بيتها عن نفسه فإن الغرض المسوق له الكلام وهو نزاهة يوسف عليه الصلاة والسلام فلو قيل راودته امرأة العزيز أو زليخا لم يفد ما أفاده الموصول باعتبار صلته فهو أدل على الغرض المسوق له وهو النزاهة لأنه إذا كان في بيتها وتمكن من نيل المراد منها ومع ذلك عف عنها ولم يفعل كان ذلك غاية في النزاهة عن

الفحشاء وقيل معناه زيادة تقرير المسند أعني المراودة لما فيه من فرط الاختلاط والألفة فلو قال زليخا أو امرأة العزيز لم يفد ما أفاده الموصول من ذكر السبب الذي هو قرينة في تقرير المراودة باعتبار كونه في بيتها وقيل هو تقرير للمسند إليه لامكان وقوع الإبهام والاشتراك في امرأة العزيز أو زليخا لو ذكر أحدهما ولا يتأتى ذلك في التي هو في بيتها لأنها واحدة معينة مشخصة. ومنها الهجنة أي استقباح ذكر المسند إليه نحو جاء الذي لقيك أمس تريد رجلا إسمه الكلب. ومنها التوهيم أي إظهار وهم المخاطب أي غلطه وخطئه في اعتقاده نحو : إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا ومنه قول الشاعر : إن الذين ترونهم إخوانكم * يشفي غليل صدورهم أن تصرعوا ومنها الأيماء إلي وجه بناء الخبر أي الإشارة إلى أن بناء المسند عليه من أي طريق من ثواب أو عقاب أو مدح أو ذم أو غير ذلك نحو : إنّ الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين فإن الاستكبار الذي تضمنته الصلة مناسب لاسناد سيدخلون جهنم داخرين أي ذليلين إلى الموصول وربما جعل ذريعة إلى التعريض بتعظيم شأن المسند نحو : إن الذي سمك السماء بنى لنا بيتا دعائمه أعز وأطول فإن ذكر الصلة التي هي سمك السماء مشعرة بتعظيم المبنى عليه وهو البيت الذي بناه سامك السماء ورفعها أو

بتعظيم غيره نحو الذي يوافقك يستحق الإجلال وقد يكون ذريعة للإهانة نحو الذي يخالفك يستحق الاذلال ومنها توجه ذهن السامع واستفراغه لما يرد بعده فيقع منه موقعا ما إذا ورد نحو : والذي حارت البرية فيه * حيوان مستحدث من جماد ومنها عدم علم السامع بالأحوال المختصة به سوى الصلة نحو الذي أطعمناه أمس جاءنا اليوم وفي معناه عدم علم المتكلم وحده أو مع المخاطب نحو الذي حولنا من الجنّ لا أعرفهم أو لا نعرفهم.

قال :

[وبإشارة لكشف الحال من قرب أو بعد أو استجهال

أو غاية التمييز والتعظيم والحط والتنبيه والتفخيم]

أقول : من مرجحات كون المسند إليه إسم إشارة بيان حال المشار إليه من قرب نحو هذا زيد أو بعد نحو ذاك زيد أو ذلك زيد فلإسم الاشارة مرتبتان عند المصنف تبعا لسيبويه وابن مالك والأصل جعل المراتب ثلاثا فيكون إسم الإشارة للمتوسط ذاك وللبعيد ذلك، ومنها استجهال المخاطب أي تجهيله والتعريض بغباوته حتى إنه لا يتميز له الشيء إلا بالإشارة إليه كقول الفرزدق يخاطب جريرا: أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع ومنها تمييزه غاية التمييز

لإحضاره في ذهن السامع حسا بالإشارة كقول ابن الرومي: هذا أبو الصقر فردا في محاسنه من نسل شيبان بين الضال والسلم ومنها التعظيم أي قصد تعظيمه بالقرب نحو إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم، أو البعد نحو ذلك الكتاب نزل بعد درجته ورفعة قدره بعد المسافة ومنه تلك آيات الله وتلك آيات الكتاب وغير ذلك، ومنها الحطّ أي التحقير بالقرب نحو وما هذه الحياة الدنيا إلا لعب ولهو نزلت دناءتها وخسة قدرها منزلة قرب المسافة وبالبعد نحو ذلك الفاسق فعل كذا. ومنها التنبيه عند ذكر أوصاف بعد المشار إليه على أن المشار إليه حقيق بما يرد بعد إسم الإشارة بسبب تلك الأوصاف نحو : أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون فأتى بعد المشار إليه وهو الذين يؤمنون بأوصاف متعددة من الإيمان بالغيب وإقام الصلاة وغير ذلك ثم عرف المسند إليه بالإشارة إليه تنبيها على أن المشار إليهم أحقاء بما يرد بعد أولئك وهو كونهم على الهدى عاجلا والفوز بالفلاح آجلا من أجل اتصافهم بالأوصاف المذكورة ومنها التفخيم ولم يذكره الأصل اكتفاء بالتعظيم وزاده المصنف لأن فيه زيادة التعظيم نحو هذا زيد الذي تسمع به قال :

[وكونه باللام في النحو علم لكن الاستغراق فيه ينقسم

إلى حقيقي وعرفي وفي فرد من الجمع أعمّ فاقتفى]

أقول من مرجحات كون المسند إليه معرّفاباللام الاشارة بها إلى معهود أو حقيقة فالأول ثلاثة أقسام : الأول معهود في الذكر صريحا أو كناية نحو - وليس الذكر كالأنثى - فالأنثى تقدم ذكرها صريحا في قوله إني وضعتها أنثى والذكر تقدم في قوله ما في بطني محررا لأن ما كناية عنه لأن التحرير إنما كان المذكور. الثاني معهود في الذهن نحو إذ هما في الغار. الثالث معهود في الحضور نحو : اليوم أكملت لكم دينكم ومنه الواقعة بعد إسم الإشارة وأي في النداء. والثاني ثلاثة أقسام أيضا. الأول الإشارة إلى الحقيقة من حيث نحو الرجل خير من المرأة ومنه أل الداخلة على المعرف بفتح الراء نحو الانسان حيوان ناطق إذ التعريف إنما هو للماهية لا للأفراد الثاني الإشارة إلى الحقيقة باعتبار وجودها في بعض الأفراد غير معين كقولك ادخل السوق حيث لا عهد في الخارج ومنه قوله تعالى - وأخاف أن يأكله الذئب - وهذا المعرّف في المعنى كالنكرة ولذا عومل معاملتها في الوصل بالجملة نحو : ولقد أمر على اللئيم يسبني وإن كان في اللفظ يجري عليه أحكام المعارف من وقوعه مبتدأ. وذا حال ووصفا للمعرفة وموصوفا بها ونحو ذلك وإنما قيل كالنكرة لما بينهما من تفاوت ما وهو أنّ النكرة معناه بعض غير معين من جملة الحقيقة وهذا معناه نفس الحقيقة وإنما تستفاد البعضية من القرينة

كالدخول والأكل فيما مر فالمجرد وذو اللام بالنظر إلى القرينة سواء وبالنظر إلى أنفسهما مختلفان. الثالث الإشارة إلى الحقيقة باعتبار وجودها في كل فرد من الأفراد فتفيد الاستغراق نحو : إن الانسان لفي خسر بدليل صحة الاستثناء الذي شرطه دخول المستثنى في المستثنى منه لو سكت عن ذكره وهو ضربان حقيقي وهو أن يراد كل فرد مما يتناوله اللفظ بحسب متفاهم اللغة نحو - عالم الغيب والشهادة - أي كل غيب وكل شهادة وعرفي وهو أن يراد كل فرد مما يتناوله اللفظ بحسب متفاهم العرف نحو جمع الأمير الصاغة أي صاغة بلده لا كل الصاغة واستغراق المفرد أشمل من الجمع فقولك لا رجال في الدار يصدق إذا كان فيها رجل أو رجلان بخلاف قولك لا رجل فيها وهذا في النكرة المنفية مسلم وأما المعرف باللام فلا بل الجمع للعرف بلام الاستغراق يتناول كل واحد من الأفراد على ما ذكره جمهور الأصوليين ودل عليه الاستغراق في نحو - والله يحب المحسنين - أي كل محسن. فإن قيل إفراد الإسم يدل على الوحدة والاستغراق يدل على التعددفيتنافيان.فالجواب أن الحرف إنما يدخل عليه عند إرادة الاستغراق مجردا عن الوحدة والتعدد وقوله في النحو علم أشاريه إلى الأقسام المتقدمة وإلى الخلاف في كون المعرف أل بتمامها وهمزتها همزت قطع أو وصل أو اللام وحدها وهو مذهب علماء

المعاني ولذا يقولون وأما تعريفه باللام كالمصنف في قوله باللام أو الهمزة واللام للفرق بينها وبين همزة الاستفهام وإلى ما يتفرع على ذلك وقوله فاقتفى تكملة.

قال :

[وبإضافة لحصر واختصار تشريف أول وثان واحتقار

تكافؤ سآمة إخفاء وحث أو مجاز استهزاء]

أقول: من مرجحات كون المسند إليه مضافا لما بعده الحصر حيث لا تنضبط أفراد المسند إليه إلا بالإضافة نحو أهل الله ساكنون تحت مجاري الأقدار ومنها الاختصار نحو : هواي مع الركب اليمانين مصعد جنيب وجثماني بمكة موثق فهو أخصر من الذي أهواه وأولى لضيق المقام بسبب كونه في السجن وحبيبه على الرحيل ومنها تشريف المضاف نحو أمة محمد صلى الله عليه وسلم مرحومة أو المضاف نحو نبينا محمد أفضل الأنام. ومنها تحقير المضاف نحو ولد الحجام حاضر أو المضاف إليه نحو أخوك اللئيم حاضر فقوله واحتقار أي احتقاركل من الأوّل. والثاني أي المضاف والمضاف إليه. ومنها التكافؤ أي التماثل في الرتبة بحيث لا مرجح للبداءة بأحد أفراد المسند إليه نحو: علماء البلد حضروا. ومنها سآمة المتكلم أو السامع من ذكر أفراد المسند إليه لكثرتها نحو: أهل

البلد حضروا. ومنها إخفاء المسند إليه وستره عن غير المخاطب من السامعين نحو: صاحبك تغير حاله. ومنها حث السامع وتحريضه على إكرام أو إذلال فالأول نحو : صديقك أتى إليك والثاني نحو عدوك يريد أن يظهر عليك. ومنها تضمن الإضافة مجازا لطيفا نحو ولنعم دار المتقين أضيفت الدار للمتقين مع أنها دار المتقين وغيرهم لاختصاصهم بنعيمها. ومنها الاستهزاء كقولك لمن يعتقد صلاح ذي بدعة صاحبك تارك الصلاة. ومنها غير ذلك كالاستغراق نحو فعل الله جميل أي كل فرد من أفراد فعله لا يسئل عما يفعل وبهذا الحال تمت أنواع المعرفة.

قال :

[ونكروا إفرادا أو تكثيرا تنويعا أو تعظيما أو تحقيرا

كجهل أو تجاهل تهويل تهوين أو تلبيس أو تقليل]

أقول : البحث الرابع في تنكيره فمن مرجحاته القصد إلى إلى فرد مما يصدق عليه إسم الجنس نحو وجاء رجل من أقصى المدينة أي رجل واحد. ومنها التكثير بمعنى أن ذلك الشيء لكثرته لا يحتاج إلى تعريف نحو إن له لا بلا. ومنها التنويع بأن يراد بالمسند إليه نوع مخالف للأنواع المعهودة نحو وعلى أبصارهم غشاوة أي نوع غريب من الغشاوة وهو ما يتعامى به عن الحق. ومنها التعظيم نحو وجاءهم رسول كريم.

ومنها التحقير نحو قولك عند ملاقاة حجام لقيني رجل وقد اجتمعا في قوله: له حاجب عن كل أمر يشينه * وليس له عن طالب العرف حاجب فتنكير حاجب الأول للتعظيم والثاني للتحقير ومنها الجهل به نحو جاءني رجل إذا كنت لا تعرفه. ومنها التجاهل كقولك ذلك وأنت تعرفه. ومنها التهويل كقولك لمن أردت تفزيعه وتخويفه وراءك حساب. ومنها التهوين بالنون كقولك لمن عليه بقية دين بقي شيء أي قليل. ومنها التلبيس أي الاخفاء على السامع نحو قال لي قائل إنك خائن. ومنها التقليل كقولك للضمآن هنا شيء من الماء. ومما له مناسبة بالتعريف والتنكير قاعدة وهي أن الإسم إذا كرّر مرّتين فإن كانا نكرتين فالثاني غير الأول أو معرفتين أو الثاني فقط فهو عينه أو الأول معرفة والثاني نكرة فقولان فالأول والثاني كالعسر واليسرفي قوله تعالى - فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا - والثالث نحو فيها مصباح المصباح والرابع كقوله: صفحنا عن بني ذهل وقلنا القوم إخوان عسى الأيام أن يرجعن قوما كالذي كانواوهذه القاعدة أغلبيةكما يعلم في المطوّلات قال :

[ووصفه لكشف أو تخصيص ذم ثنا توكيد أو تنصيص]

أقول : البحث الخامس في إتباعه أما وصفه فلأمور منها كشف معناه نحو الجسم الطويل العريض العميق يحتاج إلى فراغ يشغله فكُلٌ من هذه

الأوصاف الثلاثة يبين الجسم بوجه ما والمجموع وصف كاشف بالغ مرتبة الحد على مذهب المعتزلة وأما على مذهب أهل السنة فهو الجوهر القابل للقسمة فإن لم يقبلها فهو الجوهر الفرد، ومنها تخصيصه بتقليل الاشتراك أو رفع الاحتمال فالأول نحو زيد العابد عندنا إذا كان هناك مشارك له في العبادة والثاني نحو زيد العالم عندنا إذا لم يكن عالم غيره. ومنها الذم نحو زيد الجاهل في السوق. ومنها الثناء: أي المدح نحو زيد العابد في المسجد إذا كان الموصوف معينا بدون الوصف فيهما. ومنها التوكيد نحو أمس الدابر كان يوما عظما ومنها التنصيص أي البسط والبيان لكون دلالة المنطوق أقوى نحو جاءني رجل واحد واعلم أن المسند إليه إذا كان ضميرا لا يصح وصفه كما هو مقررفي محله .

قال :

[وأكدوا تقريرا أو قصد الخلوص من ظنّ سهو أو مجازأو خصوص] أقول : أما توكيده فلأمور. منها التقرير أي تقرير المسند إليه وتحقيق مفهومه بحيث لا يظنّ به غيره نحوجاء زيد زيد. ومنها دفع توهّم السهو إذا خاف المتكلم أن السامع ظنّ به السهو فأسند الحكم إلى غير من هو له نحو المثال المتقدّم ومنها دفع توهم المجاز نحو جاء الأمير نفسه دفعا لتوهم أن إسناد المجيء إلى الأمير مجاز وإنما الجائي بعض خدمه،

ومنها دفع توهم التخصيص وعدم الشمول نحو جاء القوم كلهم دفعا لتوهم أن الجائي البعض وعبر عنه باللفظ الدال على الكل .

قال :

[وعطفوا عليه بالبيان باسم به يختص للبيان]

أقول: وأما تعقيب المسند إليه بعطف البيان فلإيضاحه باسم مختص به نحو قدم صديقك خالد ولا يلزم أن يكون الثاني أوضح لجواز أن يحصل الإيضاح من اجتماعهما ، والفرق بين النعت وعطف البيان أن الأول يدل على معنى في متبوعه والثاني يكشف حقيقته، وقد يكون عطف البيان للمدح لا للإيضاح نحو : جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس، فالبيت الحرام جيء به للمدح لا للإيضاح والبيان الأول في البيت المراد به التابع المخصوص والثاني إسم مصدر بين فلا إيطاء في البيت.

قال :

[وأبدلوا تقريراأو تحصيلا وعطفوا بنسق تفصيلا

لأحد الجزئين أورد إلى حق وصرف الحكم للذي تلا

والشك والتشكيك والإبهام وغير ذلك من الأحكام]

أقول : وأما البدل من المسند إليه فلتقرير الحكم بسبب تقديم

التوطئة لذكر البدل فتتشوّف النفس إليه فيتقرر الحكم ويثبت وذلك في بدل الكل نحو جاء أخوك زيدأو لتحصيل الحقيقتوذلك في بدل البعض نحو مات العلماءأكثرهم والاشتمال نحو سلب الناس عقولهم وأما بدل الغلط فلا دخل له هنا لأنه لا يقع في فصيح الكلام وأما العطف أي جعل الشيء معطوفا على المسند إليه بحرف فلأمور : منها تفصيل المسند إليه مع الاختصار نحو جاء زيد وعمرو فان فيه تفصيلا للفاعل بأنه زيد وعمرو ومن غير دلالة على تفصيل الفعل بأن المجيئين كانا معا أو مرتبين مع مهلة أو بلا مهلة. ومنها تفصيل المسند كذلك نحو جاء زيد فعمرو أو ثم عمرو أو جاء القوم حتى خالد فالثلاثة تشترك في تفصيل المسند إلا أن الفاء تدل على التعقيب من غير تراخ وثم على التراخي وحتى على أن أجزاء ما قبلها مرتبة في الذهن من الأضعف إلى الأقوى أو بالعكس فمعنى تفصيل المسند فيها أي حتى أن يعتبر تعلقه بالمتبوع أولا وبالتابع ثانيا من حيث إنه أقوى أجزاء المتبوع أو أضعفها ولا يشترط فيها الترتيب الخارجي لجواز أن يكون ملابسة الفعل لما بعدها قبل ملابسته للأجزاء الأخر التي قبلها نحو مات كل أب لي حتى آدم وهذا معنى قوله تفصيلا لأحد الجزئين أي المسند إليه أو المسند. ومنها ردّ السامع عن الخطأ في الحكم إلى الصواب نحو جاءني زيد لا عمرو لمن

اعتقد أن عمرا جاءك دون زيد أو أنهما جاآك جميعا فيكون على الأول قصر قلب وعلى الثاني قصر إفراد ومراده بالحق الصواب. ومنها صرف الحكم عن محكوم عليه إلى محكموم عليه آخر نحو جاء زيد بل عمرو وما جاء زيد بل عمرو فإن بل للاضراب عن المتبوع وصرف الحكم إلى التابع ومعنى الاضراب عن المتبوع أن يجعل في حكم المسكوت عنه لا أن ينفي عنه الحكم قطعا. ومنها الشك من المتكلم في المسند إليه نحو جاء زيد وعمرو إذا علم بمجيء أحدهما لا بعينه. ومنها التشكيك أي إيقاع المتكلم السامع في الشك بأن يكون المتكلم عالما لكنه يريد تشكيك المخاطب كالمثال المقدم. ومنها الإبهام وهو أن يكون المتكلم عالما بالنسبة ولكنه أبهم على المخاطب لنكتة نحو : وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين والنكتة في الآية أن لا يزيد إنكار المخاطبين ولجاجهم وقوله وغير ذلك من الأحكام كالتخيير والإباحة والمثال ظاهر والفرق بينهما مثله.

قال :

[وفصله يفيد قصر المسند عليه كالصوفيّ هو المهتدى]

أقول : من أحوال المسند إليه فصله أي تعقيبه بضمير فصل ويكون لنكت : منها تخصيصه بالمسند وعليها اقتصر المصنف كأصله

نحو زيد هو العالم أي لا غيره ولذا يمتنع أن تقول وغيره ومنه مثال المصنف باعتبار الكمال في الإهتداء. ومنها الدلالة على أن ما بعده خبر لما قبله لا صفة. ومنها التأكيد وذكرهما في الكشاف مع الأولي في قوله تعالى: وأولائك هم المفلحون.

قال :

[وقدموا للأصل أو تشويف   لخبر تلذذ تشريف

وحط اهتمام أو تنظيم   تفاؤل تخصيص أو تعميم

أن صاحب المسند حرف السلب   إذ ذاك يقتضي عموم السلب]

أقول : البحث السادس في تقديمه للاهتمام وله مرجحات منها أن تقديمه الأصل لأنه المحكوم عليه ولابد من تحققه قبل الحكم فقصدوا أن يكون في الذكر أيضا مقدما ولا مقتضى للعدول عنه إذ لو كان أمر يقتضي العدول عنه فلا يقدم كما في الفاعل فإن مرتبة العامل التقدم على المعمول. ومنها تمكن الخبر في ذهن السامع لأن في المبتدإ تشوقا إليه كقوله: والذي حارت البرية فيه حيوان مستحدث من جمادأي الانسان من حيث عوده بعد الفناء يعني تحيرات الخلائق في المعاد كالجسماني وليس المراد آدم ولا غيره مما قيل ومنها التلذذ بذكره نحو محمد حبيبنا. ومنها التشريف أي التعظيم نحو محمد نبينا. ومنها

الحط أي التحقيرنحو مسيلمة كذاب. ومنها الاهتمام وهو أعم الجهات أي جهات التقديم وكلها من أفراده فكان ينبغي له أن يسلك ما سلكه الأصل من جعله الاهتمام سببا في التقديم وجعل هذه الجهات من أفراده ومنها التنظيم أي النظم أي ضرورته من وزن أو قافية وفي معناه السجع. ومنها تعجيل المسرة بسبب التفاؤل نحو سعد في دارك ومثله تعجيل المساءة بسبب التطير والتشاؤم نحو السفاح في دار صديقك. ومنها التخصيص أي تخصيص المسند إليه بالمسند الفعلي أي جعل المسند الفعلي مقصورا على المسند إليه إن تقدم على المسند إليه حرف السلب نحو ما أنا قلت هذا أي لم أقله مع أنه مقول لغيري إذ لا يقال ذلك إلا في شيء ثبت في الجملة لغير المسند إليه فالتقديم يفيد نفي الفعل عن المتكلم وثبوته لغيره على الوجه الذي نفى عنه من العموم والخصوص ولهذا لا يصح ما أنا قلت هذا ولا غيري لأن مفهوم ما أنا قلت يناقض منطوق لا غيري ولا ما أنا رأيت كل أحد لاقتضائه أن غيره رأى كل أحد لقصر سلب الرؤية على وجه العموم وهو يقتضي ثبوتها للغير كذلك ولا ما أنا ضربت إلا زيدا لأنه يقتضي أن إنسانا غيره قد ضرب كل أحد سوى زيد فهذه ثلاث صور ممتنعة للجهة المذكورة فإن لم يل المسند إليه حرف النفي بأن يتقدم الكلام أصلا أو يتأخر عنه فتارة يكون التقديم

للتخصيص والردّ على من زعم انفراد غير المسند إليه بالفعل أو مشاركته له نحو أنا سعيت في حاجتك لا غيري إن قصد الردّ على من زعم انفراد غيره أو وحدي إن قصد الردّ على من زعم المشاركة، وتارة يرد لتقوية الحكم وتقريره عند السامع دون التخصيص نحو هو يعطي الجزيل بقصد أن يقرر في ذهن السامع أنه يفعل ذلك لا أن غيره لا يفعله وكذلك إذا كان الفعل منفيا نحو أنت لا تكذب فإنه أبلغ في نفي التكذيب من لا تكذب لما في الأول من تكرير الاسناد المفقود في الثاني ومن لا تكذب أنت وإن كان فيه تأكيد بلفظ أنت لأنه لتأكيد المحكوم عليه بأنه ضمير المخاطب تحقيقا لا لتأكيد الحكم لعدم تكرار الاسناد ، وهذا المذكور من التخصيص والتقوى إذا بني الفعل على معرف فإن بني على منكر فإنه يفيد تخصيص الجنس أو الواحد به نحو رجل جاءني لا امرأة إن أريد الأول ولا أكثر إن أريد الثاني ومن أراد زيادة على ذلك فعليه بالأصل وشرحه. ومنها عموم السلب وهو مراده بالتعميم وذلك إذا كان لفظ كل مضافا إلى المسند إليه واقترن بالمسند حرف السلب نحو كل إنسان لم يقم أي لم يقع قيام من فردمن أفراده فهو من عموم السلب ومنه الحديث كل ذلك لم يكن أي لم يقع قصر ولا نسيان كما في الحديث الآخر لم أنس ولم تقصر وأما إذا تقدم حرف السلب على كل فإنها لسلب العموم نحو:

ما كل ما يتمناه المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن وسلب العموم مقتض لثبوت الحكم للبعض ومن أراد زيادة في هذا المقام فعليه الأصل وشرحه.

قال:

[فصل في الخروج عن مقتضى الظاهر]

[وخرجوا عن مقتضى الظواهر كوضع مضمر مكان الظاهر
لنكتة كبعث أو كمال تميز أو سخرية إجهال
أو عكس أو دعوى الظهور والمدد لنكتة التمكين كالله الصمد
وقصد الاستعطاف والارهاب نحو الأمير واقف بالباب]

أقول : جميع ما تقدم من المقامات المذكورة من الحذف والذكر وغير ذلك مقتضى ظاهر الحال وذكر في هذا الفصل الخروج عن مقتضى ظاهر الحال إلى مقتضى الحال وهو المشار إليه بنكتة ومن المعلوم أن مقتضى ظاهر الحال أخص من مقتضاه وصور الخروج عن مقتضى ظاهر الحال كثيرة ذكر المصنف بعضها فمنها وضع المضمر موضع المظهر نحو: كل من عليها فان يعني الأرض ومنه هو زيد عالم لبعث الاضمار على توجه نفس السامع إلى الخبر . ومنهاوضع المظهر موضع المضمر فإن كان المظهر إسم إشارة فالنكتة كمال العناية بتمييز المسند إليه لاختصاصه

بحكم بديع كقول ابن الراوندي : كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا هذا الذي ترك الأوهام حائر وصير العالم النحرير زنديقا والأصل هو أي ما تقدر من إعياء مذاهب العاقل ورزق الجاهل فعدل إلى الإشارة لكمال العناية بتميزه ليرى السامعين أن هذا المعين المتميز هو الذي له الحكم العجيب وهو جعل الأوهام حائرة والعالم النحرير زنديقا، أو السخرية والتهكم كما إذا كان السامع أعمى فقال من قام فقلت له هذا مشيرا إلى مجهول أو مفقود تهكما به أو إجهال السامع أي نسبته إلى الجهل والبلادة حتى إنه لا يدرك إلا المحسوس كقول الفرزدق: أولئك آبائي فجئني بمثلهم * إذا جمعتنا يا جرير المجامع ومقتضى الظاهر هم أو عكس ذلك وهو التعريض بفطانة السامع وذكائه حتى إن غير المحسوس عنده بمنزلة المحسوس كقولك مشيرا إلى معين معقول هذا مرادي أو ادعاء كمال ظهور المسند إليه حتى كأنه محسوس كالمثال المتقدم باعتبا ادعاء كمال الظهور وإن كان غير اسم الاشارة فالنكتة المدد أي الزيادة بنكتة هي التمكن أي زيادة تمكن المسند إليه وتقريره في نفس السامع نحو جاء زيد زيد فاضل ومنه مثال المتن والصمد هو الذي يصمد إليه ويقصد في الحوائج أو الإستعطاف أي طلب العطف والرحمة كقول الداعي إلهي عبدك العاصي دعاك معترفا بذنبه

فتب عليه توبة تمحو الأغيار من قلبه ومقتضى الظاهر أنا العاصي أو الارهاب أي التخويف نحو : إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها لم يقل أنا آمركم لأن في إظهار الإسم ترهيبا ومنه مثال المتن لم يقل أنا واقف ترهيبا بإظهار لفظ الأمير ومنه بعث السامع وتقوية داعيته إلى الإمتثال نحو: فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين قال: [ومن خلاف المقتضى صرف مراد ذي نطق أو سؤل لغير ما أراد لكونه أولى به وأجدرا كقصة الحجاج والقبعثري]

أقول : من خلاف مقتضى الظاهر مجاوبة المتكلم بغير ما يترقب وسماها عبد القادر المغالطة والسكاكي الأسلوب الحكيم وذلك يحمل كلامه على خلاف قصده تنبيها على أنه أولى بالقصد . ومن ذلك ما يحكى أن الحجاج توعد شاعرا يقال له القبعثري بأن قال له لأحملنك على الأدهم يعني القيد فقال له القبعثري : مثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب فحمل وعيده على الوعد فقال له الحجاج إنه حديد فقال القبعثري لأن يكون حديدا خير من أن يكون بليدا. ومنها إجابة السائل بغير ما سأل عنه تنبيها على أنه اللائق بسؤاله كقوله تعالى - يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج - سألوا عن الهلال لم يبدو دقيقا ثم يتزايد حتى يستوي ثم ينقص حتى يعود كما بدا فأجيبوا ببيان حكمة

ذلك وهي معرفة المواقيت والحلول والآجال ومعالم الحج يعرف بها وقته للتنبيه على أن اللائق السؤال عن الحكمة قال السعد لأنهم ليسوا ممن يطلعون بسهولة على دقائق علم الهيئة. قال السيوطي في شرح عقود الجمان : وهذه قلة أدب منه وجهل بمقدار الصحابة رضي الله عنهم وشنع عليه بكلام يراجعه من أراد الوقوف عليه وذكر أنه ورد ما يدلّ على المسئول عنه هو الحكمة في خلق الأهلة لا سبب الزيادة والنقصان ونصّ السؤال يا رسول الله لم خلقت الأهلة؟ فعلى هذا لا تكون المسألة من خلاف مقتضى الظاهر وقوله سؤل على وزن فعل لغة في السؤال.

قال :

[ولالتفات وهو الانتقال من بعض الأساليب إلى بعض قمن

والوجه الاستجلاب للخطاب ونكتة تخص بعض الباب]

أقول : من خلاف مقتضى الظاهر الالتفات وهو عند الجمهور التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة أعني التكلم والخطاب والغيبة بعد التعبير عنه بغيره منها ولا يشترط التعبير عنه بالغير على مذهب السكاكي فهو عنده أعم منه عند الجمهور فقول الخليفة أمير المومنين يأمرك بكذا التفات على مذهبه لأنه منقول عن أنا لا على مذهب الجمهور لعدم تقدم خلافه فأقسامه ستة حاصلة منها ضرب اثنين

في ثلاثة لأن كل قسم من الثلاثة ينقل إلى قسميه : الأول من التكلم إلى الخطاب نحو - ومالي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون - الأصل وإليه أرجع. الثاني منه إلى الغيبة نحو - إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر - الأصل فصل لنا. الثالث من الخطاب إلي التكلم نحو قوله:

طحا بك قلب في الحسان طروب بعيد الشباب عصر حان مشيب.

يكلفني ليلى وقد شط وليها وعادت، عواد بيننا وخطوب.

الشاهد في بك ويكلفني بالياء التحتية والأصل يكلفك. الرابع منه إلى الغيبة نحو حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم الأصل بكم. الخامس من الغيبة إلى الخطاب نحو : ما لك يوم الدين إياك نعبد الأصل إياه نعبد. السادس منها إلى التكلم نحو والله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الأصل فساقه ووجه الالتفات ونكتته استجلاب نفس السامع للخطاب أي الكلام المخاطب به لأن النفس مجبولة على حبّ المتجدّد فإذا تجدد الكلام إلى أسلوب كان ادعى للإصغاء إليه وهذه النكتة عامة في جميع أقسام الالتفات وربما اختص كل موضع منه بلطائف ونكت كالفاتحة فإن العبد إذا ذكر الله وحده ثم ذكر صفاته التي كل صفة منها تبعث على شدة الإقبال وآخرها مالك يوم الدين المفيد أنه

مالك الأمر كله في يوم الجزاء فحينئذ يوجب الإقبال عليه والخطاب بغاية الخضوع والاستعانة في المهمات وهو معنى قوله ونكتة الخ.

ومما هو شبيه بالالتفات وليس منه مسئلتان ذكرهما السيوطي في عقود الجمان الأولى التعبير بواحد من المفرد والمثنى والمجموع عن آخر منها وهو من أنواع المجاز بخلاف الالتفات والمسئلة الآتية فإنهما حقيقتان مثال المفرد عن المثنى قول الأعشي :

فرجي الخير وانتظري إيابي   إذ ما القارظ العنزيّ آبا

وإنما هما القارظان لأنّ المثل حتى يثوب القارضان ومثاله على الجمع * وذبيان قد زلت بأقدامها النعل * أي النعال ومثال المثنى عن المفرد ألقيا في جهنم أي ألق وعن الجمع ثم ارجع البصر كرّتين إذا المراد التكثير لا مرتان ومثال الجمع عن المفرد رب ارجعون أي أرجعني وعن المثنى فقد صغت قلوبكما أي قلبا كما. الثانية الانتقال من خطاب واحد من الثلاثة إلي آخر منها مثاله من الخطاب الواحدإلى الإثنين نحو لتلفتنا عما وجدنا عليه آباؤنا وتكون لكما الكبرياء في الأرض وإلى الجمع يا أيها النبي إذا طلقتم النساء مثاله من الإثنين إلى الواحد فمن ربكما يا موسى ومثاله من الإثنين إلى الجمع أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة ومثاله من الجمع إلى الواحد وأقيموا الصلاة

وبشر المومنين وإلى الاثنين يا معشر الجنّ والإنس إن استعطتم إلى قوله فبأيّ آلاء ربكما تكذبان والنكتة في هذه المسألة كالنكتة في الالتفات قال :

[وصيغة الماضي لآت أوردوا وقلبوا النكتة وأنشدوا

ومهمــــه مغبـــرة أرجـــاؤه كان لون أرضه سماؤه]

أقول من خلاف مقتضى الظاهر التعبير عن المغنى المستقبل بلفظ الماضي تنبيها على تحقق وقوعه نحو ويوم ينفخ في الصور ففزع من السموات ومن في الأرض أي يفزع ونحو أتى أمر اللهّ أي يأتي ومنه التعبير باسم الفاعل أو المفعول نحو إن الدين لواقع ذلك يوم مجموع له الناس لأن الوصفين المذكورين حقيقة في الحال مجاز فيما سواه ومن خلاف المقتضى القلب وهو أن يجعل أحد جزأي الكلام مكان الآخر نحو عرضت الناقة على الحوض أي أظهرته عليها لتشرب مكان عرضت الحوض على الناقة لأن القاعدة أن المعروض عليه يكون له ميل إلى المعروض والحوض ما يميل إليه الحيوان فيعرض هو على الحيوان لا الحيوان عليه. واختلف في قبوله فقيل يقبل مطلقا لأنه يورث الكلام ملاحة وقيل لا يقبل مطلقا لأن عكس المطلوب ونقيض المقصود والحق ما عليه الأصل وهو التفصيل فإن تضمن معنى لطيفا قبل وإلا فلا فالأول نحو

قوله:

ومهمه مغبرة أرجاؤه   كأن لون أرضه سماؤه

والأصل كما أن لون سمائه لغبرته لون أرضه أي كلونها والنكتة فيه المبالغة في وصف لون السماء بالغبرة حتى صار بحيث يشبه به لون الأرض في ذلك مع أن الأرض أصل فيه والمهمة المفازة والمغبرة المملوءة غبارا والأرجاء النواحي جمع رجى بالقصر كرحى والثاني نحو قوله :

فلما أن جرى سمن عليها   كما طينت بالفدن السياعا

يصف ناقة بالسمن والفدن القصر والسياع الطين المخلوط بالتبن والأصل كما طينت بالسياع الفدن وليس في هذا القلب معنى لطيف .

قال :

[الباب الثالث المسند]

أقول أخره عن المسند إليه لأنه فرع عنه ومسوق لأجله لأن المسند إليه محكوم عليه والمسند حكم والثاني مؤخر عن الأول والمقصود من هذا الباب بيان الأحوال العارضة للمسند من حيث كونه مسندا كالحذف والذكر وغير ذلك قال :

[يحذف مسندا لما تقدّما   والتزموا قرينة ليعلما]

أقول : يتعلق بالمسندأبحاث. البحث الأول في حذفه ويكون للنكت

الماضية في حذف المسند إليه فمنهماالاحتراز عن العبث أي الإتيان بما لا فائدة فيه للعلم به نحو زيد في جواب من قام وقوله :

ومن يك أمسى بالمدينة رحله فإني وقيار بها لغريب

الرحل هو المنزل والمأوى وقيار إسم فرس للشاعر وهو ضابىء بن الحرث فالمسند إلى قيار محذوف لدلالة خبر ما قبله عليه ولضيق المقام بسبب التوجع والاختصار ولحفظ الوزن أيضا ومن ذلك قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي. والأصل لو تملكون تملكون فحذف الفعل احترازا عن العبث لوجود المفسر فانفصل الضمير وليس أنتم مبتدأ وما بعده خبر بل فاعل لفعل محذوف كما رأيت لأن لو تدخل على الأسم ويشترط للحذف قرينة تدلّ على المحذوف كوقوع الكلام جوابا لسؤال محقق أو مقدّر فالأول نحو: ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولون اللّه أي خلقهنّ اللّه فحذف المسند بدليل التصريح به في الآية الأخرى في قوله ليقولنّ خلقهنّ العزيز العليم فهو فاعل لا مبتدأ والثاني نحو : ليبك يزيد ضارع لخصومة ومختبط مما تطيح الطوائح. والمختبط الذي يأتي إليك للمعروف من غير وسيلة وتطيح من الإطاحة وهي الإذهاب والإهلاك والطوائح جمع مطيحة على غير قياس فمختبط معطوف على ضارع ومقصود الشاعر أنه ينبغي أن يبكي على يزيد رجلان ذليل لكونه

الناصر له وفقير أصابته حوادث الزمان فأهلكت ماله وأذهبته لأنه كان ناصرا كل ذليل وجابر فقر كل فقير وهذا على قراءة ليبك بصيغة المبني للمجهول ولو قرئ بصيغة المبني للفاعل ويزيد مفعول مقدم وضارع فاعل مؤخر لم يكن مما نحن بصدده.

قال :

[وذكره لما مضى أو ليرى فعلا أو إسما فيفيد المخبرا]

أقول : البحث الثاني في ذكره وذلك للنكت الماضية في ذكر المسند إليه من كون الذكر الأصل مع عدم المقتضى للعدول عنه ومن الاحتياط لضعف التعويل على القرينة ومن التعريض بغباوة السامع وغير ذلك نحو جاء زيد في جواب من جاء ويزاد هنا أنه يذكر ليرى أو يعلم أنه فعل فيفيد التجدد والحدوث أو إسم فيفيد الثبوت فيفيد المخبر بفتح الباء أي السامع فائدة زائدة على ما تقدم لأنه حذف لا يدري هل هو إسم أو فعل مثال الأول زيد قائم فهذه الجملة تدل على ثبوت القيام لزيد لأن أصل الإسم مشتقا كان أولا الدلالة على الثبوت لعدم دلالته على الاقتران بالزمان ومثال الثاني زيد قام فإنها تدل على تجدد القيام وحذوثه لزيد لدلالة الفعل على الاقتران بالزمان فلو كان المسند ظرفا نحو الفوز لمن رضي عنه مولاه إحتمل الثبوت والتجدد بحسب المتعلق أي حاصل أو

حصل. فإن قلت : المشهور أن الجملة الإسمية تدل على الثبوت فكيف جعلتها في نحو زيد قام دالة على الحدوث. قلت : دلالتها على الحدوث باعتبار أحد جزءيها وهو الفعل أي الدال على الحدوث الفعل. وأما الجملة فهي دالة على ثبوت نسبة المسند المتجدد معناه فالقيام متجدد وحصوله لزيد ووصفه به ثابت مستقر .

قال :

[وافردوه لانعدام التقوية وسبب كالزهد رأس التزكية]

أقول : البحث الثالث في إفراده : أي كونه اسما مفردا والمفرد عند النحاة يطلق على معان ففي باب الإعراب ما ليس مثنى ولا مجموعا وفي باب العلم ما ليس مركبا وفي باب لا والمنادى ما ليس مضافا ولا شبيها به وفي باب الخبر ما ليس جملة ولا شبيها وهو المراد هنا فيؤتى به إسما مفردا لعدم إفادة تقوية الحكم وكونه غير سببي نحو زيد قائم ومنه مثال المصنف وإنما كان الزهد رأس التزكية أي الخلوص من الكدورات لاستعداد صاحبه للحضرة الإلاهية ، فإن أريد التقوية أو كان سببيا أتى به جملة كما سيأتي ، والسببي جملة علقت على مبتدإ بعائد غير مسند إليه فيها فخرج المسند من نحو زيد منطلق أبوه لأنه مفرد وفي نحو - قل هو اللّه أحد - لعدم العائد وفي نحو زيد قام لأن العائد

مسند إليه قال : [وكونه فعلا فللتقييد بالوقت مع إفادة التجديد وكونه إسما للثبوت والدوام] أقول : المسند المفرد يكون فعلا ويكون إسما. أما الأول فللتقييد بأحد الأزمنة الثلاثة الماضي والحال والاستقبال على أخصر وجه لدلالة الفعل على الزمان بصيغته ولا يتأتى ذلك في الإسم إلا بقيد أمس أو الآن أو غدا مع إفادة التجدد والحدوث أي التكرار والوقوع مرة بعد أخرى للزوم ذلك للزمان الذي هو جزء مفهوم الفعل ولازم الجزء لازم الكل إذ الزمان عرض غير قارّ الذات أي لا تجتمع أجزاؤه في الوجود كقوله :

أو كلما وردت عكاظ قبيلة بعثوا إلي عريفهم يتوسم

أي يصدر عنه تفرس الوجوه وتأملها شيئا فشيئا ولحظة فلحظة.

وأما الثاني فلعدم ما ذكر من التقييد والتجدد وإرادة الثبوت والدوام لأغراض تتعلق بذلك كقوله :

لا يألف الدرهم للضروب صرتنا * ولكن يمر علينا وهو منطلق.

يعني الانطلاق من الصرة ثابت للدرهم من غير اعتبار تجدد قال:

[وقيدوا كالفعل رعيا للتمام وتركوا تقييده لنكتة

كسترة أو انتهاز فرصة] أقول : البحث الرابع في تقييده سواء كان إسما أو فعلا يعمل عمله بواحد من المفاعيل الخمسة أو شبهها

كالحال والتمييز والاستثناء وذلك لتتميم الفائدة وتقويتها لأنه كلما ازداد خصوصا زاد بعدا من الاحتمال وكلما بعد عن الاحتمال قويت الفائدة فإن قولك ضرب زيدا أخص من ضربت وأقوى فائدة وكذا ضربته ضربا شديدا أخص من الفعل وحده لإفادة نوع من الضرب وقس بقية المقيدات فقوله كالفعل أو شبه الفعل أي الفعل وشبهه من إسم فاعل أو مفعول أو غير ذلك من كل ما يعمل عمله ولم يبين المقيد به للعلم به من علم النحو ويستثنى من شبه المفعول به خبر كان في نحو كان زيد قائما فإن التقييد به ليس لتمام الفائدة لعدمها بدونه لأنه هو المسند فهو ليس قيدا للفعل بل مقيد به فالمعنى تقييد نسبة القيام لزيد بالزمان الماضي المدلول لكان فقط وإن دلت وضعا على الحدث ففي كل من العفل وخبره فائدة مفقودة في الآخر فإن الأول يدل وضعا على حدث مطلق يعينه خبره الثاني يدل عقلا على زمن مطلق يعينه الفعل . وأما ترك تقييده فلأمور. منها ستر القيد عن زمان الفعل أو مكانه أو سببه أو نحو ذلك عن المخاطب أو غيره من الحاضرين، ومنها انتهاز الفرصة أي المبادرة أي انقضاؤها. ومنها الجهل بالقيود. ومنها عدم الحاجة إليها.

قال :

[وخصصوا بالوصف والاضافة وتركوا لمقتضى خلافه]

أقول : قد يكون تقييد المسند بالوصف كقولك أخوك رجل صالح أو الاضافة نحو أخوك غلام زيد لقصد التخصيص وقد ترك تقييده لغرض اقتضى خلاف التخصيص كستر أو انتهاز فرصة ونحو ذلك مما تقدم من مقتضى ترك تقييد الفعل بمفعول ونحو ذلك.

قال :

[وكونه معلقا بالشرط فالمعاني أدوات الشرط]

أقول قد يقيد المسند بالشرط لتحصيل معنى أداته نحو إن تكرمني أكرمك ففيه تقييد إكرام المتكلم بإكرام المخاطب المفاد بأن لأن الشرط قيد في الجزاء مع الاشعار بأنه سبب فيه ولما دعت الحاجة إلى معاني أدوات الشرط تكلم عليها أهل المعاني وإن كانت من مباحث علم النحووأكثر ما وقع بحثهم على معاني إذا وإن ولو وبيان ذلك في الأصل وشرحه.

قال :

[ونكروا إتباعا أو تفخيما حطا وفقد عهد أو تعميما]

أقول : البحث الخامس في تنكير المسند وأسباب تنكيره كثيرة. منها إتباع المسند إليه في التنكير نحو رجل من الكرام حاضر إذ لا يكون المسند معرفة مع تنكير المسند إليه إلا في نحو كم مالك. ومنها

التفخيم نحو هدى للمتقين. ومنها الحط أي التحقير نحو ما زيد شيئا . ومنهم أن لا يكون معهودا نحو زيد شاعر. ومنها إرادة التعميم بأن لا يكون خاصا بالمسند إليه كهذا المثال .

قال :

[وعرّفوا إفادة للعلم بنسبة أو لازم للحكم]

أقول : البحث السادس في تعريفه فيؤتى به معرفة ليستفيد السامع العلم بأن ذلك المسند المعلوم حاصل لذلك المسند إليه المعلوم له إذ لا يلزم من العلم بالطرفين العلم بنسبة أحدهما للآخر فإذا كان السامع يعلم زيدا ويعلم أن له أخا ولا يعرف اسمه فقيل له زيد أخوك حصل له العلم بالنسبة التي كان يجهلها ولا يشترط اتحا طريق تعريفيهما بل تغاير المفهومين ولذلك أوّل نحو شعري شعري بشعري الآن مثل شعري الماضي المشهور بالحسن ويؤتى به معرفة أيضا لإفادة السامع العلم بأن المتكلم عالم بلازم الحكم كقولك زيد أخوك لمن يعلم بأنه أخوه لتفيده أنك عالم بذلك فلازم معطوف على نسبة .

قال :

[وقصروا تحقيقا أو مبالغه بعرف جنسه كهند البالغه]

أقول : المسند قد يعرف لقصد قصره على المسند إليه تحقيقا

كقولك زيد الأمير إذا لم يكن أمير غيره أو مبالغة كقولك زيد الفقيه أي الكامل في الفقه كأنك لم تعتدّ فقه غيره. ومنه مثال المصنف.

قال :

[وجملة لسبب أو تقوية   كالذكر يهدي لطريق التصفيه]

أقول : البحث السابع في كون المسند جملة وذلك إما لكونه سببا أو مشتملا على السبب وهو ضمير المسند إليه لأنه سبب لربط الجملة به نحو زيد قام أبوه وإما لتقوية الحكم بنفس التركيب أي لا بالتكرير والأداة نحو أنا قلت ومنه مثال المصنف ولا يشترط في الجملة أن تكون خبرية وجملة معطوف على معلقا.

قال :

[واسمية الجملة والفعلية   وشرطها لنكتة جلية]

أقول : اسمية الجملة وفعليتها وشرطيتها لما مضى من أن الاسمية للدوام والثبوت والفعلية للتجدد والحدوث والشرطية للاعتبارات المختلفة الحاصلة من أدوات الشرط إلى آخر ما تقدم.

قال :

[وأخروا أصالة وقدّموا لقصر ما به عليه يحكم تنبيه أو تفاؤل تشوّف كفاز بالحضرة ذو تصوّف]

أقول: البحث الثامن في تقديمه وتأخيره فتأخيره للأصل وينبغي إذا كان ذكر المسند إليه أهم وتقديمه إما لقصره على المسند إليه نحو لا فيها غول بخلاف خمر الدنيا ولذا لم يقدم في قوله لا ريب فيه بأن يقال لا فيه ريب لئلا يفيد ثبوت الريب في سائر كتب اللّه تعالى أو للتنبيه على أنه خبر من أوّل وهلة لا نعت نحو * له همم لا منتهى لكبارها * إذ لو قيل همم له توهم أنه نعت لشدّة طلب النكرة للنعت أو التفاؤل نحو: سعدت بغرّة وجهك الأيام * أو لتشوّق النفس إلى ذكر المسند إليه بأن يكون في المسند طول يقتضي ذلك نحو : ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها شمس الضحى وأبو إسحق والقمر. ومنه مثال المتن وتقدّم الكلام عليه قال :

[الباب الرابع في متعلقات الفعل]

أقول : المتعلقات جمع متعلق بكسر اللام وفتح المعمولات التي تتعلق بالفعل أي يرتبط معناها به كالمفاعيل وشبهها من حال وتمييز والمقصود من هذا الباب بيان أحوالها من ذكر وحذف وتقديم وتأخيرونحو ذلك، وحكم أحوال معمولات ما يعمل عمله كاسم فاعل كذلك واقتصروا في الترجمة على الفعل لأصالته في العمل .

قال :

[والفعل مع مفعوله كالفعل مع فاعله فيما له معه اجتمع والغرض الاشعار بالتلبس بواحد من صاحبيه فائتس]

أقول : الفعل مع المفعول كالفعل مع الفاعل في أنّ الغرض من كل منهما إفادة التلبس به لإفادة وجوده فقط وإلا لقيل وجد الضرب مثلا إلا أن جهة التلبس مختلفة ففي الفاعل من جهة وقوعه منه وفي المفعول من جهة وقوعه عليه والمميز لذلك الرفع في الأوّل والنصب في الثاني فقوله فيما له معه اجتمع أي في الغرض الذي لأجله اجتمع في ضمير له عائد على الموصول واللام للتعليل وضمير له معه عائد إلى الفعل أو الفاعل وفاعل اجتمع إما يعود إلى الفعل أو الفاعل على التقديرين أيضا وصاحبيه أي الفعل المراد بهما الفاعل والمفعول.

قال :

[وغير قاصر كقاصر يعد مهما يك المقصود نسبة فقد] أقول : الفعل إما أن يكون قاصرا أي غير متعد أو لا الأول يقتصر على ذكر فاعله معه نحو قام زيد والثاني أي المتعدي إما أن يقصد الاخبار في الحدث في المفعول دون الفاعل فيبنى للمفعول نحو ضرب عمرو أو يقصد إثباته لفاعله أو نفيه عنه من غير اعتبار تعلقه بمفعول فينزل منزلة القاصر ولا يقدر المفعول لأن المقدر كالموجود نحو قوله تعالى - قل هل

يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون - أي هل يستوي من ثبتت له حقيقة العلم ومن لم تثبت له والاستفهام إنكاري أي لا يستوي وقوله فقد بمعنى حسب.

قال :

[وبحذف المفعول للتعميم وهجنة وفاصلة تفهيم

من بعد إبهام والاختصار كبلغ المولع بالإذكار]

أقول: يحذف المفعول لإرادة العموم في أفراده نحو قد كان منك ما يؤلم أي كل أحد ومنه الله يدعو إلي دار السلام أي كل أحد، وبحذف لاستهجان الذكر كقول عائشة رضيّ الله عنها ما رأيت منه ولا رأى مني أي الفرج، ويحذف لرعاية الفاصلة كقوله تعالى - ما ودّعك ربك وما قلى - أي وما قلاك حذف لأن فواصل الآي على الألف وبحذف للتفهيم أي البيان بعد الإبهام كما إذا وقع فعل المشيئة شرطا فإن الجواب يدل عليه نحوه - ولو شاء لهداكم أجمعين - أي ولو شاء هدايتكم فإنه لما قيل لو شاء علم السامع أن هناك متعلقا للمشيئة مبهما فإذا سمع الجواب تعين عنده وهو أوقع في النفس من ذكره أوّلا ويحذف أيضا للاختصار نحو - ربّ أرني أنظر إليك - أي ذاتك ومنه بلغ المولع بالأذكار أي الدرجة العليا.

قال :

[وجاء للتخصيص قبل الفعل تهمم تبرّك وفصل]

أقول : الأصل في المفعول التأخير عن الفعل نحو أكرم زيد عمرا وقد يتقدم لأغراض منها التخصيص أي قصر الحكم على ما يتعلق به الفعل نحو زيدا عرفت أي لا غيره جوابا لأنك عرفت غير زيد ومنه إياك نعبد أي لا غيرك ولذا لا يقال زيدا عرفت وغيره ولا ما زيدا عرفت ولا غيره لاقتضاءه في الأول قصر المعرفة على زيد وسلبها عن غيره والعطف ينافي ذلك وفي الثاني سلبها عن زيد وثبوتها لغيره والعطف ينافي ذلك. ومنها الاهتمام به نحو محمدا اتبعت ولذلك عن الأول عند الجمهور تقدير العامل في بسم الله متأخرا. فإن قيل قد ذكر مقدما في قوله تعالى- اقرأ بسم ربك ،أجيب عن ذلك بأن الأهم ثم القراءة لأنها أوّل سورة نزلت إلى ما لم يعلم. ومنها التبرك كالمثال المتقدّم فهو صالح له كسابقه، ومنها رعاية الفاصلة كقوله تعالى : ثم الجحيم صلوه قال :

واحكم لمعمولاته بما ذكر والسرّ في الترتيب فيها مشتهر]

أقول : حكم بقية معمولات الفعل كالحال والتمييز كالمفعول نحو : راكبا جاء زيد فيفيد ذلك قصر المجيئ على حالة الركوب وقس الباقي فإذا اجتمعت المعمولات للفعل قدم الفاعل ثم المفعول الأول من باب

أعطى لأنه فاعل في المعنى ثم الثاني فإذا اجتمعت المفاعيل قدم المفعول به ثم المصدر ثم المفعول له ثم ظرف الزمان ثم ظرف المكان ثم المفعول معه إلى آخر ما هو معلوم في علم النحو قال :

[الباب الخامس القصر]

[تخصيص أمر مطلقا بأمر　　　هو الذي يدعونه بالقصر

يكون في الموصوف والأوصاف　　　وهو حقيقي كما إضافي

لقلب أو تعيين أو إفراد　　　كأنما ترقى بالاستعداد]

أقول : القصر معناه لغة الحبس ومنه حور مقصورات في الخيام. وفي الاصطلاح تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوص كتخصيص زيد بالقيام في قولنا ما قائم إلا زيد وهو قسمان حقيقي وإضافي . فالأول ما كان التخصيص فيه بحسب الحقيقة بحيث لا يتجاوز المقصور وما قصر عليه إلى غيره والثاني ما كان التخصيص فيه بحسب الإضافة إلى شيء آخر، مثال الأول إنما السعادة للمقبولين ومثال الثاني وإنما العالم زيد جوابا لمن قال زيد وعمرو عالمان، وكل منهما قصره موصوف على صفة بأن لا يتجاوزها إلى صفة أخرى ويجوز أن تكون تلك الصفة لموصوف آخر وقصر صفة على موصوف بأن لا تتجاوزها إلى موصوف آخر ويجوز أن يكون لذلك الموصوف صفات آخر والمراد بالصفة هنا المعنوية وهي أعم

من النعت النحوي فالأقسام أربعة. مثال الأول من الحقيقي أي قصر الموصوف على الصفة ما زيد إلا كاتب أي لا صفة له غيرها وهوعزيز لا يكاد يوجد لتعذر الاحاطة بصفات الشيء حتى يمكن إثبات شيء منها ونفي ما عداه بالكلية. ومثال الثاني منه أي قصر الصفة على الموصوف ما في الدار إلا زيد وهو كثير ومثال الأول من الاضافي أي قصر الموصوف على الصفة ما زيد إلا كاتب لمن اعتقد اتصافه بالكتابة والشعر. ومثال الثاني منه أي قصر قصر الصفة على الموصوف ما كاتب إلا زيد لمن اعتقد اشتراط زيد وعمرو في الكتابة ويسمى هذا قصر إفراد وهو تخصيص أمر بأمر دون آخر جوابا لمن اعتقد اشتراكهما فيه وهذا هو القسم الأول من أقسام الاضافي. الثاني قصر القلب وهو تخصيص أمر بأمر مكان آخر اعتقد السامع فيه العكس مثاله في قصر الموصوف ما زيد إلا عالم لمن اعتقد أنه جاهل مثال في قصرها ما العالم إلا زيد لمن اعتقد أن العالم عمرو.والثالث قصر التعيين وهو تخصيص أمر بأمر مكان آخر أشكل على السامع تعيين أحدهما مثاله في قصر الموصوف ما زيد إلا قائم لمن تردد في قيامه وقعوده ومثال في قصرها ما قائم إلا زيد لمن تردد في أن القائم زيد أو عمرو فقوله لقلب صفة للاضافي يعني أن القصر الاضافي ينقسم إلى ثلاثة أقسام ومثاله صالح لها.

قال :

[وأدوات القصر إلا إنما عطف وتقديم كما تقدما]

أقول : للقصر طرق منها النفي والاستثناء بالا أو بغيرها نحو إن أنت إلا نذير. ومنها إنما لتضمنها معنى ما قبلها نحو إنما زيد عالم، ومنها العطف نحو جاء زيد لا عمرو، ومنها تقديم ما حقه التأخير نحو العالم صحبت ومنها غير ذلك كتعريف الطرفين نحو زيد العالم واقتصر المصنف على هذه الأربعة لشهرتها وطرق الحصر مختلفة في وجوه منها أن التقديم يفيد بالفحوى أي بمفهوم الكلام بمعنى أن الذوق السليم ذا تأمّل فيه فهم القصر وإن لم يعرف اصطلاح البلغاء في ذلك والبواقي تفيده بالوضع لأن الواضع وضعها لمعان تفيد الحصر، ومنها غير ذلك مما هو في المطولات قال :

[الباب السادس في الإنشاء]

[ما لم يكن محتملا للصدق والكذب الانشا ككن بالحق]

أقول : الانشاء مركب لا يحتمل الصدق والكذب كاستقم فما الواقعة على المركب جنس ولم يكن الخ فصل مخرج للخبر، وهو ما احتمل الصدق والكذب لذاته كالخير في الاستقامة فقوله ككن بالحق مثال بعد تمام التعريف والحق اسم من أسمائه تعالى ومعناه الثابت الذي

لا يعتريه زوال أي كن بمولاك في جميع حركاتك وسكناتك لعلك تنتظم في سلك المقبولين.

قال :

[والطلب استدعاء ما لم يحصل أقسامه كثيرة ستنجلي أمر ونهي ودعاء وندا تمنّ استفهام أعطيت الهدى]

أقول: قسم الإنشاء إلى طلب وإلى غيره فالطلب استدعاء غير حاصل أي طلب حصول غير حاصل وقت الطلب لأن طلب حصول الحاصل محال كالأمر والنهي وغير الطلب إنشاء ليس فيه استدعاء حصول كأفعال المدح والذم نحو نعم وبئس والمقصود هنا الأول وأقسامه كثيرة ذكر المصنف منها ستة. الأول الأمر وهو طلب الفعل نحو أقيموا الصلاة. الثاني النهي وهو طلب الكف عن الفعل نحو: لا تقربوا الزنا. الثالث الدعاء وهو طلب الفعل مع التذلل والخضوع نحو : ربنا اغفر لنا. الرابع النداء وهو طلب الاقبال بحرف نائب مناب أدعو نحو يا غياث المستغيثين. الخامس التمني وهو طلب المحبوب ولو محالا نحو ليت الشباب يعود. السادس الاستفهام وهو طلب حصول ما في الخارج في الذهن فيشمل التصور والتصديق وستأتي أدواته واختلاف معانيها وأعطيت الهدى تكملة للبيت قصد بها الدعاء.

قال

[واستعملوا كليت لو وهل لعل حرف تحضيض والاستفهام هل

أيّ متى أيان أي من وما وكيف أتى كم وهمز علما

والهمز للتصديق والتصورّ وبالذي يليه معناه حر

وهل لتصديق بعكس ما غبر ولفظ الاستفهام ربما عبر لأمر استبطاء أو تقرير تعجب تهكم تحقير تنبيه استبعا أو ترهيب إنكار ذي توبيخ أو تكذيب]

أقول : يستعمل في التمني مجازا ألفاظ، منها لو كقوله تعالى - فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين - بنصب نكون بأن مضمرة جوابا للو المضمنة معنى التمني. ومنها هل نحو فهل لنا من شفعاء للجزم بانتفاء الشفعاء والاستفهام يقتضي الجهل بالحلم. ومنها لعل أسافر فأزور الحبيب بنصب فأزور لما تقدم. ومنها حروف التحضيض نحو هلا أكرمت زيدا على معنى التمني وقوله والاستفهام هل شروع في أدوات الاستفهام وما يطلب بها فذكر إحدى عشرة أداة الهمزة وهل حرفان وبقية الأدوات أسماء وهي ثلاثة أقسام: ما يطلب به التصور فقط وماعدا الحرفين نحو ما زيد. وما يطلب به التصديق فقط وهو هل نحو هل زيد قائم ولا يجوز

هل زيد قائم أم عمرو وما يطلب به التصور والتصديق وهو الهمزة ولذلك كانت أمّ أدوات الاستفهام نحو أدبس في الإناء أم عسل في تصور المسند إليه أو في الدار زيد أم في المسجد في تصور المسند وهو نحو أقام زيد والمطلوب بها ما يليها كالفعل في أفهمت العلم والفاعل في نحو أنت عملت به والمفعول في نحو أرضاء الله طلبت فقوله وبالذي يليه متعلق بحر : أي معنى الهمز وهو الاستفهام حقيق بما يليه الهمز وهو كغيرها من الأدوات وقوله بعكس ما غبر أي بقى. معناه أن ما بقي من الأدوات لطلب التصوّر فقط عكس هل التي هي لطلب التصديق فقط ثم إن لفظ الاستفهام قد يستعمل في الأمر نحو قوله تعالى -ءأسلمتم -أي أسلموا وكذا تقول لمن تأمره بشيءهل امتثلت أي امتثل فقوله ربما عبر أي تجاوز معناه الأصلي إلى الأمر وما عطف عليه وفي الاستبطا نحو كم دعوتك وفي التقرير أي حمل المخاطب على الإقرار بما استقر عنده ثبوته أو نفيه نحو ءأنت فعلت هذا بآلهتنا وفي التعجب ما لي لا أرى الهدهد وفي التهكم نحو أصلاتك تأمرك في التحقير نحو من أنت لمن تحقر شأنه في التنبيه على الضلال نحو: فأين تذهبون وفي الاستبعاد نحو أنى لهم الذكرى وفي الترهيب أي التخويف نحو: ألم نهلك الأولين، وفي الإنكار التوبيخي وهو الذي يقتضي أن ما بعده واقع وأن فاعله

ملوم نحو: أتعبدون وما تنحتون والابطالى وهو ما اقتضى أن ما بعده غير واقع وأن مدعيه كاذب نحو أفأصفا كم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثا وهو المشار إليه بتكذيب.

قال :

[وقد يجى أمر ونهي وندا   في غير معناه الأمر قصدا

وصيغة الإخبار تأتي للطلب   لفأل أو حرص وحمل وأدب]

أقول : قد يخرج الأمر والنهي والدعاء عن معانيها الأصلية لنكتة أما الأمر فقد يأتي لمعان كثيرة. منها الاباحة نحو: كلوا مما رزقكم الله وأما النهي فإنه يأتي لمعان كثيرة أيضا، ومنها قصد الامتثال كقولك لمن عصى أمرك لا تعصى أمري أي امتثله. وأما النداء فيأتي لمعان أيضا،منها الإغراء كقولك لمن تظلم إليك يا مظلوم تريد إغراءه على زيادة التظلم ثم إن صيغة الخبر قد يقصد منها الطلب لنكتة كالتفاؤل نحو وفقنا الله لما فيه رضاه وإظهار الحرص في وقوعه كقولك لمن استبطأك أتيتك والتصديق كقولك لمن لا يحب تكذيبك تأتينا غدا فتحمله على المجيء بلطف لاعتيادك تصديقه إياك والتأدب مع المخاطب بترك صيغة الأمر نحو أمير المؤمنين يقضي حاجتي ثم إن كثيرا من الاعتبارات المذكورة في الأبواب السابقة تجري في الإنشاء كالتقديم

والتأخير والقصر فقسها عليها.

قال :

[الباب السابع الفصل والوصل]

[الفصل ترك عطف جملة أنت من بعد أخرى عكس وصل قد تبث]

أقول : الفصل لغة القطع، وفي الاصلاح : ترك عطف جملة على أخرى، والوصل لغة الجمع في الاصطلاح عطف بعض الجمل على بعض مثال الأول عمرا أهنته زيدا ضربته ومثال الثاني زيد قائم وعمرو جالس وهذا الباب أغمض أبواب المعاني حتى قيل لبعضهم ما البلاغة؟ فقال معرفة الفصل والوصل

قال :

[فافصل لدى التوكيد والابدال لنكتة ونية السؤال

وعدم التشريك في حكم جرى أو اختلاف طلبا أو خبرا

وفقد جامع ومع إيهام عطف سوى المقصود في الكلام] أقول : يجب الفصل في مواضع: منها أن تنزل الجملة الثانية من الأولى منزلة التوكيد المعنوي في إفادة التقرير مع اختلاف المعنى أو اللفظي في إفادة التقرير مع اتحاد المعنى مثال الأول لا ريب فيه بالنسبة إلى ذلك الكتاب

إذا جعل كل منهما جملة مستقلة فهي بمنزلة نفسه من جاء زيد نفسه ومثال الثاني جاء زيد هو الصوفي أي الصافي من دنئ الأوصاف فهي بمنزلة زيد الثاني من جاء زيد زيد. ومنها أن تكون الثانية بمنزلة البدل من الأولى لنكتة ككون المراد لطيفا أو مطلوبا في نفسه فتنزل الثانية منزلة البدل المطابق نحو : فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم ففصل جملة قال لأنها بمنزلة البدل المطابق من وسوس، والنكتة في الإبدال لطافة المراد ودقته أو منزلة بدل البعض - نحو - أمدكم بما تعلمون أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون - ففصل جملة أمدكم الثانية لأنها كبدل البعض إذ مضمونها بعض ما يعلمون، والنكتة في إبدالها كون مضمونها مطلوبا في نفسه أو منزلة بدل الاشتمال نحو :

* أقول له ارحل لا تقيمنّ عندنا *

فلا تقيمنّ بدل من ارحل بدل اشتمال والنكتة كالذي قبله وإنما وجب الفصل في التوكيد والإبدال لأن الوصل يقتضي التغاير، وليس موجودا فيهما. ومنها نية السؤال أي تقديره من الجملة السابقة نحو - لا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون - فجملة النهي تقتضي سؤالا من شأن المنهيّ أن يسأل عنه فيقال لم أخاطبك في شأنهم ووجب الفصل لصيرورة الجملة الثانية كالمقطوعة عما قبلها بسبب كونها جوابا لذلك

السؤال المقدّر.ومنها عدم اشتراك الثانية مع الأولى في الحكم نحو - إذا خلوا إلى شياطينهم - إلى - ألله يستهزئ بهم - لم تعطف جملة ألله يستهزئ بهم على قوله إنا معكم لعدم اشتراكهما في الحكم إذ ليست الثانية من مقولهم، ومنها اختلاف الجملتين في الخبرية والانشائية بأن تكون إحداهما إنشائية والأخرى خبرية نحو * وقال رائدهم أرسوا نزاولها * وما أجازه النحويون من عطف الإخبار على الإنشاء وعكسه مستدلين بآيات أجاب عنها البيانيون باتفاقهما معنى. ومنها أن لا يكون بين الجملتين جامع عقلي أو وهمي أو خيالي فلا تقول زيد عالم وعمرو قائم لعدم الجامع بخلاف زيد عالم وعمرو جاهل ونعم اليأس من الخلق وبئس الطمع فيهم وسيأتي ذلك. ومنها إيهام العطف خلاف المقصود نحو : وتظن سلمى أنني أبغى بها بدلا أراها في الضلال تهيم لم يعطف أراها على تظنّ مع أن بينهما مناسبة في المسند والمسند إليه لئلا يتوهم عطفه على أبغى فيكون من مظنونات سلمى وهو خلاف المقصود إذ المقصود أنه يضنها كذلك .

قال :

] وصل لدي التشريك في الاعراب وقصد رفع اللبس في الجواب

وفي اتفاق مع الاتصال في عقل   أو في وهم أو خيال]

أقول : ذكر في هذين البيتين مقتضيات الوصل. منها أن يكون للأولى محل من الاعراب كأن تكون خبرا ويقصد تشريك الثانية لها في حكم ذلك الاعراب نحو زيد قام أبوه وقعد أخوه. ومنها القصد لرفع إيهام خلاف المراد من الجواب كما إذا قيل لك هل قام زيد وقلت لا وزدت أن تدعو للسائل فلابد من الوصل فتقول لا رعاك الله إذا لو فصلت فتوهم بأنه دعاء على المخاطب بعدم الرعاية ، ولولى هذا الإيهام لوجب الفصل لاختلافهما خبرا وإنشاء. ومنه أن تتفق الجملتان في الخبرية والإنشائية مع الاتصال: أي الجامع بينهما من عقل أو وهم أو خيال نحو : إن الابرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم، والجامع بينهما التضاد ، ونحو: كلوا واشربوا ولا تسرفوا والجامع كذلك وهو وهمي والكلام على القوى الباطنية التي أثبتها الحكماء وبيان الجامع العقلي والوهمي والخيالي يرجع إليه في شرح الأصل لضيق هذا الشرح عن ذللك .

قال :

[والوصل مع تناسب في إسم وفي   فعل وفقد مانع قد اصطفى]

أقول : من محسنات الوصل بعد وجود مصححة تناسب الجملتين

في الاسمية والفعلية وتناسب الفعليتين في المضي والمضارعة نحو زيد قائم وعمرو قاعد وزيد قائم وعمرو قعد لا قاعد أو يقوم في الأول ويقعد في الثاني ما لم يمنع من تلك المناسبة مانع فيجب تركها ويكون الوصل على الحال التي اقتضاها الحال كما إذا أريد في إحداهما التجدد وفي الأخرى الثبوت نحو قام زيد وعمرو قاعد والمقصود من البيت أن الوصل مع المناسبة المذكورة أولى منه مع عدمها لا من الفصل كما يوهمه ظاهر المتن ما لم يمنع تلك المناسبة مانع والله أعلم.

قال :

[الباب الثامن الإيجاز والاطناب والمساوات]

[تأدية المعنى بلفظ قدره هي المساوات كسر بذكره

وبأقل منه إيجاز علم وهو إلى قصر وحذف ينقسم

كعن مجالس الفسوق بعدا ولا تصاحب فاسقا فتردى]

أقول : المساواة كون اللفظ بقدر المعنى المراد : أي مثله نحو: ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله وسر بذكره تعالى أي إلى الحضرة العلية لأن أعظم وسيلة إليها والإيجاز كون اللفظ أقل من المعنى من غير إخلال نحو عفو الله نرجو إذ المراد قصر الرجاء على عفو الله تعالى دون غيره وهذا المعنى يؤدي بعبارة أكثر من المثال فإن حصل إخلال ردّ كما

يأتي وهو قسمان إيجاز قصر وإيجاز حذف فالأول نحو قوله تعالى - ولكم في القصاص حياة - لأن الناس إذا علموا أن من قتل قتل كان ذلك أدعى إلى عدم قتل بعضهم بعضا فيكون ذلك حياة لهم وليس في ذلك حذف. والثاني نحو واسأل القرية أي أهل القرية والمحذوف إما جزء جملة كالمثال أو جملة نحو اضرب بعصاك البحر فانفلق أى فضرب فانفلق ومنه مثال المتن إذ التقديرابعد بعدا وبقية البيت تكملة وفي البيت النهي عن مجالسة الفساق ومصاحبتهم لأن من تخلق بحالة لا يخلوحاضره منها والخلطة كما تورث الخير تورث الشرّ وفي العزلة عن الفساق تخلص من شرورهم.

قال :

[وعكسه يعرف بالاطناب كالزم رعاك الله قرع الباب

يجيء الايضاح بعد اللبس لشوق أو تمكن في النفس

وجاء بالايغا والتذييل تكرير اعتراض أو تكميل

يدعى بالاحتراس والتتميم وقفو ذي التخصيص ذا التعميم]

أقول : الاطناب تأدية المعنى بلفظ أزيد منه لفائدة فهو عكس الإيجاز نحو اللهم متعنا بالنظر إلى رجهك الكريم بفضلك مع أحبابنا في جنة النعيم. والفائدة في ذلك إظهار شأن الجنة بوقوع الرؤية فيها ومن

ذلك مثال المتن وفائدة رعاك الله أن لزوم قرع الباب لا يفيد مع عدم رعاية الله وعنايته وقولنا لفائدة مخرج للتطويل وهو زيادة لفظ غير متعين لا لفائدة كقوله: وألفى قولها كذبا ومينا فإن الكذب والمين واحد والزائد أحدهما غير معين والحشو وهو زيادة متعينة لا لفائدة كقوله: واعلم علم اليوم والأمس قبله فقبله حشو ويكون الاطناب بأمور. منها الإيضاح بعد اللبس أي البيان بعد الإبهام لأن ذلك أوقع في النفس لرؤية المعنى وفي صورتين أولهما مبهمة والأخرى موضحة فتتشوق النفس إليه مبهما ويتمكن منها موضحا فقوله لشوق الخ علة للايضاح بعد اللبس ومنها الايغال وهو ختم الكلام بما يفيد نكتة يتم الكلام بدونها نحو - اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون ومعلوم أن الرسول مهتد لكن فيه زيادة حث للاتباع وترغيب في الرسل، ومنها التذييل وهو تعقيب جملة بجملة تحتوي على معناها لتأكيد فبينه وبين الايغال عموم من جهة نحو وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا وهو قسمان الأول جرى مجرى المثل وهي أن تكون الثانية مستقلة بنيل المراد وغير متوقفة على ما قبلها نحو المثال المتقدم. الثاني ما لم يخرج مخرج المثل وهو أن تتوقف الثانية على الأولى في إفادة المراد نحو ذلك جزيناهم بما كفروا وهل يجازى إلا الكفور أي وهل يجازى ذلك الجزاء

المخصوص. ومنها التكرير نحو كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون كرّر لتأكيد الإنذار والردع وأتى بثم لدلالة على أن الثاني أبلغ من الأول ومنها الاعتراض وهو أن يؤتى بجملة فأكثر بين شيئن متلازمين نحو اللّه تعالى فعال لما يريد واعلم رعاك الله أنه لا يضيع من قصده والنكتة في الأول التنزيه وفي الثاني الدعاء. ومنها التكميل ويسمى الاحتراس وهو أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه نحو أذلة على المؤمنين أعزّة الكافرين. ومنها التتميم وهو أن يؤتى في كلام لا يوهم خلاف المقصود بفضلة لنكتة كالمبالغة في نحو - ويطعمون الطعام على حبه مسكينا - يجعل الضمير عائدا على الطعام أي على حب الطعام والاحتياج إليه. ومنها عطف الخاص على العام لنكتة نحو حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى. والنكتة الاهتمام بالمعطوف.

قال :

[ووصمة الاخلال والتطويل   والحشو مردود بلا تفصيل]

أقول: الوصمة العيب، والاخلال إفساد المعنى المؤدى بعبارة أقل منه، والتطويل الزيادة الغير المتعينة لا لفائدة، والحشو الزيادة المتعينة لا لفائدة والثلاثة مردودة عند علماء البلاغة والله أعلم.

قال :

[الفن الثاني علم البيان]

[فن البيان علم ما به عرف   تأدية المعنى بطرق تختلف

وضوحها واحصره في ثلاثة   تشبيه أومجاز أو كناية]

أقول : أخر علم البيان عن علم المعاني لما تقدم هناك، وهو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد المدلول عليه بكلام مطابق لمقتضى الحال بطرق مختلفة في إيضاح الدلالة عليه بأن يكون بعض الطرق واضح الدلالة وبعضها أوضح فخرج معرفة إيراده بطرق مختلفة في اللفظ والعبارة فقط، والمراد بالمعنى الواحد كل معنى واحد يدخل تحت قصد المتكلم وإرادته فلو عرف أحد إيراد معنى قولنا زيد جواد بطرق مختلفة لم يكن بمجرد ذلك عالما بالبيان والمراد بالطرق التراكيب ومثال ذلك إيراد معنى زيد جواد في طرق التشبيه زيد كالبحر في الكرم زيد كالبحر زيد بحر. وهذا الفن محصور في ثلاثة أشياء: التشبيه والمجاز والكناية، ووجه الحصر أن اعتبار المبالغة في إثبات المعنى للشيء إما على طريق الالحاق أو الاطلاق. والثاني أما إطلاق الملزوم على اللازم أو عكسه، وما يبحث فيه عن الأول التشبيه، وعن الثاني المجاز، وعن الثالث الكناية.

قال :

[فصل في الدلالة الوضعية]

[والقصد بالدلالة الوضعيه   على الأصح الفهم لا الحيثية
أقسامها ثلاثة مطابقه   تتضمن التزام أما السابقه
فهي الحقيقة ليس في البيان   بحث لها وعكسها العقليتان]

أقول : الدلالة فهم أمر من أمر والأول المدلول والثاني الدالّ فإن كان لفظا دالا على تمام ما وضع له فالدلالة مطابقية كدلالة الانسان على الحيوان الناطق أو على جزئه في ضمن كله فتضمينه كدلالته على الحيوان في ضمن الحيوان الناطق أو على أمر خارج عن معناه لازم له، فالتزامية كدلالته على قبول العلم وإن كان الدالّ غير لفظ فالدلالة غير لفظية وبيان أقسامها كاللفظية وما يتعلق بها في شرحنا للسلم في المنطق للمنصف والمطابقة ليس للبيانيين بحث عنها وإنما بحثهم عن دلالة التضمن والالتزام العقليتين لقبولهما للوضوح والخفاء بخلاف الأولى الوضعية، لأن السامع إن كان عالما بوضع الألفاظ لذلك المعنى لم يكن بعضها أوضح عنده من بعض وإن لم يكن عالما بذلك لم يكن كل واحد من الألفاظ دالا عليه لتوقف الفهم عن العلم بالوضع بخلاف العقليتين لجواز اختلاف اللوازم في الوضوح، إذ قد يكون الشيء جزء الشيء أو جزءه وقد يكون لازما أو لازم لازم فوضح الدلالة بحسب قلة الوسائط وكثرتها والله أعلم.

قال :

[الباب الأول التشبيه]

[تشبيهنا دلالة على اشتراك   أمرين في معنى بآلة أتاك

أركانه أربعة وجه أداه   وطرفان فاتبع سبل النجاه]

أقول : التشبيه لغة التمثيل، واصطلاحا الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى بآلة مخصوصة كالكاف ملفوظة أو مقدرة فخرج نحو جاء زيد وعمرو وقاتل زيد عمرا والاستعارة التحقيقية نحو : رأيت أسدا في الحمام، والمكنية نحو : أنشبت المنية أظفارها والتجريد الآتي في البديع نحو رأيت من زيد أسدا ودخل نحو زيد أسدا فإن المحققين على أنه تشبيه بليغ لا استعارة لأن المستعار له مذكور ولا تكون الاستعارة إلا حيث يطوى ذكره ويجعل الكلام خاليا عنه وأركانه أربعة: وجه وأداة وطرفان نحو زيد كالأسد في الشجاعة ، فالوجه المعنى الجامع بين زيد والأسد وهو الشجاعة، والأداة آلة وهي الكاف، والطرفان زيد والأسد، وقد يقتصر على لفظهما قال : [فصل]

[وحسيان منه الطرفان   أيضا وعقليان أو مختلفان]

أقول : طرفا التشبيه إما حسيان كالخد والورد أو عقليان كالعلم والحياة أو مختلفان، بأن يكون المشبه حسيا والمشبه به عقليا كالسبع

والموت، أو عكسه كالموت والسبع والمراد بالحسى المدرك وهو أو مادته بإحدى الحواس الخمس الظاهرة فدخل الخيالي. وهو المعدوم الذي فرض مجتمعا من أمور كل واحد منها مما يدرك بالحس كقوله: وكأنّ محمّر الشقيق إذ تصوّب أو تصعد أعلام ياقوت نشرن على رماح من زبرجد فإن كلا من الأعلام والياقوت والزبرجد والرمح محسوس لكن المركب الذي هذه الأمور مادته ليس بمحسوس لأنه غير موجود، والحس لا يدرك إلا ما هو موجود والعقلى ما عدا ذلك فيشمل الوهمي وهو ما ليس مدركا بإحدى الحواس ولكنه لو أدرك لكان بها مدركا كقوله: أيقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال فأنياب الأغوال مما لا يدركه الحس لعدم وجودها ولو أدركت لم تدرك إلا بحس البصر.

قال :

[والوجه ما يشتركان فيه وداخلا وخارجا تلفيه

وخارج وصف حقيقي جلا بحس أو عقل ونسي تلا

وواحدا يكون أو مؤلفا أو متعددا وكل عرفا

بحس او عقل وتشبيه نمى في الضد للتلميح والتهكم]

أقول : وجه التشبيه، هو المعنى الذي قصد اشتراك الطرفين فيه كالشجاعة في تشبيه الرجل الشجاع بالأسد ويكون داخلا في حقيقة

الطرفين وخارجا عنها، فالأوّل كما في تشبيه ثوب آخر في الجنس كقولك هذا القميص مثل هذا كونهما كتانا، والثاني كمتلوّ هذا المثال وهو إما وصف حقيقي أو إضافي ، والأوّل قسمان: حسيّ أي مدرك بإحدى الحواس بالبصر من الألوان والأشكال والمقادير والحركات والسمع من الأصوات الضعيفة والقوية وما بينهما والذوق من الطعوم والشمّ من الروائح واللمس من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة والخشونة والملاسة واللين والصلابة والخفة والثقل وما يقابلها من البلة والجفاف واللزوجة وغير ذلك وعقليّ كالكيفيات النفسانية من الذكاء والعلم والغضب والحلم والكرم والبخل والشجاعة والجبن وسائر الغرائز والاضافي أن يكون معنى متعلقا بشيئين كإزالة الحجاب في تشبيه الحجة بالشمس فإنها ليست هيئة متقرّرة في ذات الحجة ولا في ذات الحجاب، فمراد المنصف بالنسبي الاضافي. وينقسم وجه الشبه أيضا إلى ثلاثة أقسام: واحد مركب من متعدد تركيبا حقيقيا بأن تكون حقيقته ملتئمة من أمور مختلفة، أو اعتباريا بأن تكون هيئة انتزاعها العقل من عدة أمور وإلى متعددة بأن ينظر إلى عدة أمور ويقصد اشتراك الطرفين في كل واحد منها ليكون في كل منها وجه تشبيه بخلاف المركب فإنه لم يقصد اشتراك الطرفين في كل من تلك الأمور بل في الهيئة المنتزعة أو في الحقيقة

الملتئمة منها، وكل واحد من هذه الثلاثة إما حسي أو عقلي فهذه ستة ويختصّ المتعدد بالاختلاف بأن يكون بعضه حسيا وبعضه عقليا فالأقسام سبعة: مثال الواحد الحسي تشبيه ثوب بآخر في لونه، والعقلي تشبيه العلم بالنور في الاهتداء ومثال المركب الحسي قوله : وقد لاح بالفجر الثريا كما ترى كعنقود ملاحية حين نوّرا فالوجه هنا الهيئة الحاصلة من تقارن الصور البيض المستديرات الصغار المقادير في رأى العين فنظر إلى عدة أشياء وقصد إلى الهيئة الحاصلة منها، والعقلي كقوله تعالى - مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا - الوجه حرمان الانتفاع بأبلغ نافع مع تحمل التعب في اصطحابه وهو أمر عقليّ مأخوذ من أمور متعددة لأنه روعي في جهة الحمار فعل مخصوص وهو الحمل، ومحمول مخصوص وهو الأسفار المشتملة على العلوم وكون الحمار جاهلا بما فيها وكذلك روعي في جهة المشبه أيضا فعل مخصوص وهو الحمل للتوراة لأنها بأيديهم ومحمول مخصوص وهو التوراة المشتملة على العلوم وكون اليهود جاهلين بما فيها حقيقة أو حكما لعدم عملهم بمقتضاها ومثال المتعدد الحسي تشبيه فاكهة بأخرى في اللون والطعم والرائحة والعقلي تشبيه رجل بآخر في العلم والحلم والحياء ومثال المتعدد المختلف حسن الطلعة وكمال الشرف في

تشبيه رجل بالشمس ثم وجه الشبه يكون مأخوذا من التضاد فينزل منزلة التناسب فيشبه الشيء بما قام به معنى مضاد لما قام بذلك المشبه وذلك إذا كان القصد التهكم أي الاستهزاء بالمشبه أو التمليح أي جعل الكلام مليحا مستظرفا كتشبيه البخيل بحاتم فإن كان القصد السخرية فالأول أو الانبساط مع المخاطب فالثاني، فالتمليح هنا بتقديم الميم خلاف ما يأتي في البديع فإنه بتقديم اللام،

قال :

[فصل في أداة التشبيه وغايته وأقسامه]

[أداته كاف كإن مثل وكلّ ما ضاهاها ثم الأصل

إيلاء ما كالكاف ما شبه به بعكس ما سواه فاعلم وانتبه]

أقول : أداة التشبيه الكاف وكأن ومثل ونحوها ما يشتق من المماثلة كنحو ومثل، والأصل في الكاف وما أشبهها كلفظ نحو ومثل وشبه أن يليه الشبه به لفظا نحو زيد كأسد أو تقديرا نحو : أو كصيب من السماء كمثل ذوى صيب وربما يليه غيره نحو : واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه الآية ، ليس المراد تشبيه الدنيا بالماء بل تشبيه حالها في بهجتها وما يتعلق بها من الهلاك بحال النبات الحاصل في الماء يكون أخضر ثم ييبس فتطيره الرياح بخلاف عكس الكاف ونحوها

نحو كأنّ فإنه يليها المشبه لا المشبه به نحو كأنّ زيد أسدا.

قال:

[وغاية التشبيه كشف الحال   مقدار أؤ مكان أو إيصال

تزيين أؤ تشويه اهتمام   تنويه استطراف أو إيهام

رجحانه في الوجه في المقلوب   كالليث مثل الفاسق المصحوب]

أقول: غاية التشبيه أي فائدته أمور: منها كشف حال المشبه أي بيان على أنه من أي وصف من الأوصاف كتشبيه ثوب بثوب في لونه إذا كان لونه مجهولا للمخاطب. ومنها بيان مقدار حال المشبه إذا كان السامع يعلمها إجمالا كما في تشبيه الثوب الأسود بالغراب في شدة السواد؛ ومنها بيان إمكان وجوده بأن يكون أمرا غريبا يمكن أن يخالف فيه ويدعى امتناعه فيستشهد له بالتشبيه كقوله فإن تفق الأنام وأنت منهم فإن المسك بعض دم الغزال فإنه لما ادعى أن الممدوح فاق الناس حتى صار أصلا برأسه وجنسا بنفسه وكان هذا في الظاهر كالممتنع احتجّ لهذه الدعوى وبين إمكانها بأن شبه هذه الحالة بحالة المسك الذي هو من الدماء ثم إنه لا يعد من الدماء لما فيه من الأوصاف الشريفة التي لا توجد في الدم والتشبيه فيه ضمني لا تصريحي، ومنها إيصال رجال

المشبه أي تقريرها في نفس السامع وتقوية شأنه كما في تشبيه من لم يحل من سعيه على طائل بمن يرقم على الماء. ومنها تزيين المشبه ليرغب فيه كتشبيه وجه أسود بمقلة الضبي، ومنها تشويهه أي تقبيحه ليرغب عنه كتشبيه وجه مجدور بسلحة جامدة وقد نقرتها الديكة ومنها الهتمام بالمشبه به كتشبيه الجائع وجها كالبدر في الإشراق والاستدارة بالرغيف ويسمى إظهار المطلوب، ومنها التنويه بالمشبه في إظهاره وشهرته كتشبيه رجل خامل الذكر برجل مشهور بين الناس ومنها استطراف المشبه أي عده طريفا حديثا بديعا كما في تشبيه فحم فيه جمر موقد ببحر من المسك موجه الذهب لإبراز المشبه في صورة الممتنع عادة ومنها إيهام رجحان المشبه على المشبه به في وجه الشبه وذلك في التشبيه المقلوب كقوله:

وبدا الصباح كأنّ غرته ... وجه الخليفة حين يمتدح

ففيه إيهام أن وجه الخليفة أتم في الصباح في الوضوح والضياء ومنه مثال المتن وهو الليث مثل الفاسق المصحوب فالفاسق الصاحب مثل الأسد في عدم أمن غائلته وعوده على صاحبه بالضرر ففيه إيهام أن الفاسق المصحوب أرجح من الليث في وجه الشبه.

قال :

[وباعتبار طرفيه ينقسم   أربعة تركيبا إفرادا علم]

أقول ينقسم التشبيه باعتبار الطرفين إلى أربعة أقسام : الأول تشبيه مفرد بمفرد كتشبيه الخد بالورد. الثاني تشبيه مفرد بمركب كتشبيه الشقيق بأعلام ياقوت نشرن على رماح من زبرجد. الثالث تشبيه مركب بمركب بأن يكون في كل من الطرفين كيفية حاصلة من عدة أشياء قد تضامت حتى عادت شيئا واحدا كما في قوله:

كأنّ مثار النقع فوق رءوسنا   وأسيافنا ليل تهاوي كواكبه.

الرابع تشبيه مركب بمفرد كما في تشبيه نهار مشمس قد شابه زهر الربابليل مقمر فالمشبه مركب والمشبه به مفرد.

قال :

[وباعتبار رعد ملفوف او   مفروق أو تسوية جمع رأوا]

أقول : ينقسم التشبيه باعتبار تعددطرفيه إلى ملفوف وهو أن يؤتى أولا بالمشبهات على طريق العطف أو غيره ثم بالمشبه بها كذلك كقوله في وصف العقاب بكثرة اصطياد الطيور:

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا   لدى وكرها العناب الحشف البالي

شبه الطريّ من قلوب الطير بالعناب واليابس منها بالحشف البالي

وإلى مفروق وهو أن يؤتى بمشبه ومشبه به ثم آخر وآخر كقوله :

[النشر مسك والوجوه دنا   نير وأطراف الأكف عنم

وإلى تشبيه التسوية، وهو أن يتعدد المتشبه به كقوله:

صدغ الحبيب وحالي   كلاهما كالليالي

وإلى تشبيه الجمع وهو أن يتعدد المشبه به دون المشبه كتشبيه الثغر باللؤلؤ المنضد أو البرد أو الاقاح في قوله: كأنما يبسم عن لؤلؤ منضد أو برد أو أقاح.

قال :

[وباعتبار الوجه تمثيل إذا   من متعدد تراه أخذا]

أقول : ينقسم التشبيه باعتبار وجه الشبه إلى تمثيل وهو ما كان وجه الشبه فيه وصفا منتزعا من متعدد كما في إني أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى فالشبه هيئة منتزعة من أمور متعددة والمشبه به كذلك وإلى غير تمثيل وهو ما ليس وجهه كذلك نحو الصالح في هذا الزمان كالكبريت الأحمر.

قال :

[وباعتبار الوجه أيضا مجمل   خفيّ وجلى أو مفصل]

أقول : ينقسم التشبيه أيضا باعتبار الوجه إلى مجمل وهو ما لم يذكر فيه وجه الشبه كالمثال المتقدم والوجه الغرة ومن الوجه ما هو خفي لا يفهمه إلاّ الخواص كقول بعضهم هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها: أي هم متناسبون في الشرف كما أن الحلقة متناسبة الأجزاء في الصورة ومنه ما هو ظاهر يفهمه كل أحد نحو زيد كالأسد، وإلى مفصل وهو ما ذكر فيه وجه الشبه كقوله : وثغره في صفاء وأدمعي كاللآلي قال :

[ومنه باعتباره أيضا قريب وهو جليّ الوجه عكسه الغريب

لكثرة التفصيل أو لندرة في الذهن كالتركيب في كنهية]

أقول : ينقسم التشبيه أيضا باعتبار وجهه إلى قريب مبتذل، وهو ما ينتقل فيه من المشبه إلى المشبه به من غير احتياج إلى تأمل كتشبيه الجرة صغيرة بالكوز في المقدار والشكل وإلى غريب وهو ما لا ينتقل فيه إلا بعد الفكر كتشبيه الشمس بالمرآة في كف الأشلّ، إما لكثرة التفصيل في الوجه كهذا المثال أو ندور حصول المشبه به في الذهن لكونه وهميا كأنياب الأغوال أو مركبا خياليا نحو: أعلام ياقوت نشرن على رماح من زبرجد أو مركبا عقليا نحو كمثل الحمار يحمل أسفارا، والمراد بالنهية العقل أي كالمركب العقلي ، وفي بعض النسخ لكثرة التفصيل بعد

النسبة وهو بضم الباء معطوف بحذف العاطف وأل في النسبة عوض عن المضاف إليه أي من أسباب الغرابة بعد نسبة المشبه به عن المشبه فيقل بذلك حضور المشبه به في الذهن حين حضور المشبه.

قال :

[وباعتبار آلة مؤكد بحذفها ومرسل إلى توجد

ومنه مقبول بغاية يفي وعكيه المردود ذو التعسف

وأبلغ التشبيه ما منه حذف وجه وآلة يليه ما عرف] أقول : ينقسم التشبيه باعتبار أداته إلى مؤكد ومرسل، فالمؤكد ما حذفت أداته نحو زيد أسد، والمرسل ما ذكرت فيه الأداة نحو زيد كالبدر وسمي مرسلا لإرساله عن التأكيد المقتضى بظاهره أن المشبه عين المشبه به، ثم من التشبيه ما هو مقبول وهو الوافي بأيّ غرض من الأغراض المتقدمة وما هو مردود وهو عكسه، أي الغير الوافي بذلك، والبليغ من التشبيه ما حذف منه وجه الشبه وأداة التشبيه نحو زيد أسدا أو مع حذف المشبه نحو أسد في مقام الاخبار عن زيد ويليه حذف أحدهما أي الوجه أو الأداة أي فقط ومع حذف المشبه نحو كالأسد ونحو كالأسد عند الإخبار عن زيد ونحو زيد أسد في الشجاعة ونحو أسد في الشجاعة عند الإخبار عن زيد ولا قوّة لذكرهما معا مع ذكر المشبه أو بدونه نحو زيد كالأسد

في الشجاعة ونحو كالأسد في الشجاعة خبرا عن زيد.

قال :

[الباب الثاني الحقيقة والمجاز]

[حقيقة مستعمل فيما وضع له بعرف ذي الخطاب فاتبع]

أقول : المقصود من هذا البحث المجاز إذ به يتأتى اختلاف الطرق فذكر الحقيقة لمقابلتها له لا لتوقفه عليها لأن التحقيق عدم التوقف، والحقيقة في الأصل في حق الشيء ثبت سميت بذلك لثبوت اللفظ على أصل وضعه والمجاز من جاز المكان يجوزه إذا تعداه إلى مكان آخر سمي بذلك لأنهم جازوا به معناه الأصلي إلى معنى آخر والحقيقة عرفا اللفظ المستعمل فيما وضع له في اصطلاح المخاطب فخرج المهمل فلا يوصف بحقيقة ولا مجاز والمستعمل في غير ما وضع له غلطا إن لم تكن علاقة ومجازا إن كانت والمستعمل فيما وضع له في غير عرف المخاطب كالصلاة المستعملة عند اللغوي في الدعاء إذا استعملها في الهيئة المخصوصة فإنها حينئذ ليست حقيقة لأن هذا ليس عرف اللغوي ومثلها الفعل إذا استعمله اللغوي في الحدث والزمان فقوله مستعمل أي لفظ مستعمل وما واقعة على المعنى والمراد بذي الخطاب المخاطب بكسر الطاء قال :

[ثم المجاز قد يجيئ مفردا   وقد وقد يجي مركبا فالمبتدأ

كلمة غابرت موضوع مع   قرينة لعلقة نلت الورع

كاخلع نعال الكون كي تراه   وغض طرف القلب عن سواه]

أقول : المجاز قسمان مفرد ومركب فالمفرد الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له لعلاقة وقرينة مانعة من إرادته كالأسد الذي استعمله اللغوي في الرجل الشجاع واستعمال الخلع والغض في الاعراض عما سوى الله تعالى، فخرج المهمل والغلط والكناية وغابرت تجاورت، والورع ترك ما لا شبة فيه خوفا من الوقوع في الشبهة وهو ملاك الدين كله فقيل العمل معه كثير وكثيره مع عدمه قليل بخلاف الطمع فإنه مفسدة الدين ومذلة الرجال.

قال :

[كلاهما شرعيّ أو عرفيّ   نحو ارتقى للحضرة الصوفي

أو لغوي والمجاز مرسل   أو استعارة فأما الأول

فما سوى تشابه علاقته   جزء وكل أو محل آلته

ظرف ومظروف مسبب سبب   وصف لماض أو مال مرتقب]

أقول كل من الحقيقة والمجازي لغوي وشرعي وعرفي كالصلاة المستعملة لغة في الدعاء والهيئة المخصوصة والعكس أي الصلاة

المستعملة شرعا في الهيئة والدعاء وكالدابة المستعملة لغة في كلّ ما يدبّ على الأرض وفي ذوات الأربع، والعرف عام وهو ما لا يتعين ناقله عن المعنى اللغوي وخاص، وهو ما يتعين ناقله عن المعنى اللغوي المنقول عنه كالفعل المنقول عند النحاة عن الحدث المعنى اللغوي إلى الكلمة المخصوصة ومنه مثال المتن فإن الارتقاء حقيقة في المحسوسات مجاز في الترقي في مقامات السلوك وكالحضرة فإن الصوفية نقلوها من المحسوسات إلى دائرة الكمال والصوفي من صفا من الرعونات البشرية حتى وصل بذلك إلى خالق البرية. ثم المجاز المفرد إما مرسل، وهو ما كانت العلاقة فيه غير المشابهة كاستعمال إسم الجزء في الكلّ كالكلمة في الكلام، وعكسه كاستعمال الأصابع في الأنامل في يجعلون أصابعهم في آذانهم. ومنها إطلاق إسم الحال على المحلّ وعكسه قد اجتمع في قوله تعالى خذوا زينتكم عند كل مسجد إذ الوراد بالزينة الثوب والمسجد الصلاة، ومنها الآلة نحو، واجعل لي لسان صدف في الآخرين أي ذكرا حسنا فاستعمل اللسان في الذكر لأنه آلته ومنها استعمال الظرف في المظروف نحو شربت كوزا أي ماء وعكسه نحو : ففي رحمة الله أي الجنة التي هي ظرف للرحمة، ومنها إطلاق إسم المسبب على السبب نحو: أمطرت السماء نباتا أي غيثا وعكسه نحو رعينا غيثا أي نباتا ومنها

اعتبار ما كان نحو: وآتوا اليتامى أموالهم سماهم يتامى باعتبار وصفهم الماضي ومنها الأول نحو : إني أراني أعصر خمرا أي عصيرا يؤول إلى الخمر. وإما استعارة، وهو ما كانت العلاقة فيه المشابهة كالأسد المستعمل في الرجل الشجاع في قولك رأيت أسدا في الحمام ثم إن علاقات المجاز المرسل أكثر مما ذكره المتن ومن أرادها فعليه بما كتبناه على عصام الاستعارات.

قال :

[فصل في الاستعارة]

[والاستعارة مجاز علقته   تشابه كأسد شجاعته

وهي مجاز لغة على الأصح   ومنعت في علم لم اتضح

وفردا أو معدودا أو مؤلفا   منه قرينة لها قد ألفا]

أقول : الاستعارة اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة كالأسد المستعمل في الرجل الشجاع فقوله كأسد شجاعته: أي الأسد إذا أطلق على الرجل الشجاع وشجاعته العلاقة بينهما أي علاقة شجاعته، والأصح أنها من المجاز اللغوي الذي هو استعمال اللفظ في غير ما وضع له، وقيل من العقلي بمعنى أن التصرف في أمر عقلي لا لغوي لأنها لما لم تطلق على المشبه إلا بعد ادعاء دخوله في جنس المشبه

به كان استعمالها فيما وضعت له ورده في الأصل ويمتنع أن تكون الاستعارة في العلم لما اتضح عندهم من أنها تقتضي إدخال المشبه في جنس المشبه به بجعل أفراده قسمين: متعارفا وغير متعارف ولا يمكن هذا في العلم لمنافاته الجنسية إلا إذا تضمن العلم نوع وصفية بواسطة اشتهاره بوصف من الأوصاف كحاتم المتضمن الاتصاف بالجود فيتأول فيه فيجعل كأنه موضوع للجواد سواء كان ذلك الرجل المعهود أو غيره فيتناول حاتم حينئذ الفرد المتعارف المعهود والفرد الغير المتعارف ويكون إطلاقه على المعهود: أي أعني حاتما الطائي حقيقة وعلى غيره ممن يتصف بالجود استعارة نحو رأيت اليوم حاتما وقرينة الاستعارة تكون فردا أي أمرا واحدا نحو رأيت أسدا يرمي أو متعددا أي أكثر من أمر اثنين فأكثر فيكون كل واحد منهما أو منهم قرينة كقولك رأيت أسدا يرمي على فرسه أو مع ريادة في الهيجاء أو تكون معانيها ملتئمة أي مربوطا بعضها ببعض يكون الجميع قرينة لا كل واحد كقوله: وصاعقة من نصله تنكفي بها على أرؤس الأقران خمس سحائب. أي أنامله الخمس التي هي في الجود وعموم العطايا كالسحائب لما استعار السحائب لأنامل الممدوح ذكر أن هناك صاعقة وبين أنها من نصل سيفه ثم قال على أرؤس الأقران ثم قال خمس سحائب فذكر العدد الذي هو عدد الأنامل فظهر من جميع ذلك

أنه أراد بالسحائب الأنامل والضمير في ألفا للقرينة وذكره للضرورة وألفه للاطلاق كالذي قبله .

قال :

[ومع ما في لو فيها تنتمي إلى العناد لا الوفاق فاعلم
ثم العنادية تمليحية تلفى كما تلفى تهكمية]

أقول : تنقسم الاستعارة باعتبار الطرفين أعني المستعار منه والمستعار له إلى عنادية وهي التي يمتنع اجتماع طرفيها كاستعارة إسم المعدوم للموجود الذي لا منفعة فيه واستعارة إسم الميت للحيّ الجاهل، وإلى وفاقية وهي التي يمكن اجتماع طرفيها في شيء كاستعارة الأحياء للإهتداء في قوله - أو من كان ميتا فأحييناه - ثم الأولى إما تمليحية أي المقصود منها التمليح والظرافة أو تهكمية بأن يكون المقصود التهكم والاستهزاء بأن يستعمل اللفظ في ضدّ معناه نحو رأيت أسدا تريد جبانا قاصدا التمليح والظرافة، أو التهكم والسخرية .

قال :

[وباعتبار جامع قريبه كقمر يقرأ أو غريبه
وباعتبار جامع وطرفين عقلا وحسا ستة بغير مين]

أقول : تنقسم الاستعارة باعتبار الجامع إلى قريبة وغريبة فالأولى

ما كان الجامع فيها ظاهرا نحو رأيت أسدا يرمي ورأيت قمرا يقرأ والثانية ما كان الجامع فيها خفيا لا يدركه إلا الخاصة نحو:

وإذا أحتبي قربوسه بعنانه البيت شبه هيئة وقوع العنان في موقعه من قربوس السرج ممتدا إلى جانبي فم الفرس بهيئة وقوع الثوب موقعه من ركبتي المحتبى ممتدا إلى جانبي ظهره ثم استعار الاحتباء وهو أن يجمع الرجل ظهره وساقيه بثوب ونحوه لوقوع العنان في قربوس السرج فجاءت الاستعارة غريبة لغرابة الشبه. وتنقسم الاستعارة أيضا باعتبار الطرفين والجامع إلى ستة أقسام، لأن الطرفين إما حسيان أو عقليان أو المشبه حسي والمشبه به عقلي وعكسه ، فإن كانا حسيين فالجامع إما حسي نحو : فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار، فإن المستعار منه ولد البقرة والمستعار له الحيوان الذي خلقه الله تعالى من حليّ القبط. والجامع الشكل والجميع حسي وإما عقلي نحو - وآية لهم الليل نسلخ منه النهار - فإن المستعار منه كشط الجلد عن نحو الشاة، والمستعار له كشط الضوء عن مكان الليل وهما حسيان والجامع ما يعقل عن ترتب أمر على آخر، وإما مختلف كقولك رأيت شمسا وأنت تريد إنسانا كالشمس في حسن الطالعة ونباهة الشأن وإن كانا عقليين فالجامع لا يكون إلا عقليا نحو - من بعثنا من مرقدنا - فإن المستعار منه الرقاد والمستعار له الموت

والجامع بينهما عدم ظهور الفعل والجميع عقلي، وإن كان المستعار منه حسيا والمستعار له عقليا فكذلك نحو - فاصدع بما تومر - فإن المستعار منه كسر الزجاجة وهو حسي والمستعار له التبليغ والجامع التأثير وهما عقليان أو عكسه نحو - إنا لمن طغى الماء - فإن المستعار له كثرة الماء وهو حسي والمستعار منه التكبر والجامع الاستعلاء المفرط وهما عقليان.

قال :

[واللفظ إن جنسا فقل أصيله وتبعية لدى الوصفيه

والفعل والحرف كحال الصوفي ينطق أنه المنيب الموفى]

أقول : تنقسم الاستعارة باعتبار اللفظ إلى أصلية وتبعية فإن كان المستعار إسم جنس فالاستعارة أصلية نحو رأيت أسدا في الحمام وإن كان صفة نحو الحال ناطقة بكذا أو فعلا نحو نطقت الحال بكذا ومنه مثال المصنف أو حرفا نحو : فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزنا فالاستعارة تبعية للاستعارة الأصلية المقدرة في مصدر المشتق إسما أو فعلا، وللتشبيه في متعلق الحرف.

قال:

[وأطلقت وهي التي لم تقترن بوصف أو تفريع أمر فاستبن

وجردت بلائق بالفصل ورشحت بلائق بالأصل

نحو ارتقى إلى سماء القدس ففاق من خلف أرض الحس

أبلغها الترشيح لابتنائه على تناسي التشبيه وانتفائه]

أقول تنقسم الاستعارة باعتبار ذكر ما يلائم الطرفين وعدمه إلى مطلقة وهي التي لم تقترن بشيء من ملائمات المستعار منه، والمستعار له نحو رأيت أسدا إذا كانت القرينة حالية وإلى مجردة وهي ما اقترنت بما يلائم المستعار له نحو رأيت أسدا يرمي إذا كانت القرينة حالية لأن التجريد كالتشريح إنما يكون بعد تمام الاستعارة وإلى مرشحة وهي ما اقترنت بما يلائم المستعار منه نحو رأيت أسدا له لبد والقرينة حالية ومنه مثال المصنف فإن الارتقاء وهو التصاعد من سفل إلى علو يلائم السماء المستعار لحضرة القدس ، ولا يخفى ما في ارتقى وفاق من الأصلية والتبعية والترشيح حيث استعير الارتقاء لانتقال حال السالك من حال إلى حال أعلا منه وفاق بمعنى على وهو مما يلائم المستعار منه. وأما بقية البيت فاستعارة مجردة حيث استعير الأرض للصفات الدنيئة والحسي يلائمها لادراكها به فمن فاعل ارتقى: أي ارتقى إلى حضرة الملكوت من غاب عن الأكوان ومراد المصنف بالفصل المستعار له، وبالأصل المستعار منه وقد يجتمع الترشيح والتجريد في كلام واحد كقوله: لدى أسد شاكي السلاح مقذف له لبد أظفاره لم تقلم فالسلاح

للتجريد والأظفار للترشيح، والترشيح أبلغ من التجريد، لأنه مبني على تناسي التشبه والاطلاق أبلغ من التجريد والتجريد مع الترشيح متكافئان، ثم إن عدم ورود الترشيح في كتاب اللّه تعالى على ما زعمه بعضهم لا نيافى الأبلغية المذكورة كما لا يخفى لأن ذكر غيره لأهمية عرضية لا يقتضي عدم هاته المزية الذاتية من عرف مواقع الكلام هان عليه هذا المقام.

قال :

[فصل في التحقيقية والعقلية]

[وذات معنى ثابت بحسّ او عقل فتحقيقة كذا رأوا

كأشرقت بصائر الصوفية بنور شمس الحضرة القدسية]

أقول : قسم الاستعارة إلى تحقيقية وتخييلية فمراده بالعقلية التخيلية بدليل المقابلة فالاستعارة إن تحقق معناها حسا نحو رأيت أسدا في الحمام أو عقلا نحو اهدنا الصراط المستقيم فإن المستعار له قواعد الدين وهي محققة عقلا فالإستعارة تحقيقية، وإن لم يتحقق لا حسا ولا عقلا بل كان أمرا متوهما فالاستعارة تخييلية كالأظفار في أنشبت المنية أظفارهاكما سيأتي آنفا في كلامه فقوله كما أشرقت إلخ مثال للاستعارة التحقيقية المتحقق معناها عقلا، إذ المستعار منه

الاستنارة بالنور المحسوس والمستعار له انشراح الصدر واتساعه وهو أمر محقق عقلا، وكذا الشمس فإن المستعار له المعارف الربانية.

قال :

[فصل في المكنية]

[وحيث تشبيه بنفس أضمرا   وما سوى مشبه لم يذكرا

ودل لازم لما شبه به   فذلك التشبيه عند المنتبه

يعرف باستعارة الكناية   وذكر لازم بتخييلية

كأنشبت منية أظفارها   وأشرقت حضرتنا أنوارها]

أقول : إذا لم يذكر شيء من أركان التشبيه سوى المشبه ودلّ على المشبه به بذكر لازمه قيل لذلك التشبيه المضمر في النفس أي الذي لم يدل عليه بأداته استعارة بالكناية ويسمى اللازم استعارة تخييلية لأن معناها لم يكن محققا لا حسا ولا عقلا كأظفار المنية في قولنا أنشبت المنية أظفارها فإن الأظفار مستعملة في شيء متوهم للمنية أي الموت شبيه بالأظفار الحقيقية وتبع المصنف الأصل في جعل التشبيه استعارة بالكناية والحق أنها لفظ المشبه به المستعمل في المشبه المضمر في النفس المرموز إليه بلازمه كلفظ السبع هنا إذ الاستعارة اللفظ المستعمل في غير ما وضع له أو استعماله والتشبيه ليس واحدا منهما، وقيل إنها

لفظ المشبه المستعمل في المشبه به بادّعاء أنه عينه وهذا مذهب السكاكي وهو مردود كالأول والثاني مذهب السلف وهو المختار وقوله وأشرقت بعد ما قبله شاهد ثان حيث شبه الحضرة بالشمس تشبيها مضمرا في النفس وأثبت ما هو من لوارم المشبه به وهو الأنوار المنصوب على نزع الخافض.

قال :

[فصل في تحسين الاستعارة]

[محسن استعارة تدريه برعى وجه الحسن للتشبيه

وابعد عن رائحة التشبيه في لفظ وليس الوجه ألغازا قفى]

أقول : حسن الاستعارة إنما يكون برعاية جهات حسن التشبيه بأن يكون وجه الشبه شاملا للطرفين والتشبيه وافيا بما علق به من الغرض وبأن لا يشم رائحته لفظا لأن ذلك يبطل الغرض من الاستعارة أعني ادعاء دخول المشبه في جنس المشبه به ولذلك أشترط أن يكون ما به المشابهة بين الطرفين جليا لئلا تصير الاستعارة ألغازا أي كلاما معمي كما لو قيل رأيت أسدا وتريد إنسانا أبخر إذ وجه الشبه بين الطرفين خفي فظهر أن التشبيه أعم محلا إذ كل ما يتأتى في الاستعارة يتأتى فيه التشبيه من غير عكس لجواز أن يكون وجه الشبه غير جليّ كما في

المثال، ولا منافاة بين هذا وبين اشتراط عدم ابتذال وجه الشبه أي بأن يكون بعيدا لأن البعد مما يقبل الشدّة والضعف فالمراد أن لا يصل بعده إلى الألغاز.

قال :

[فصل في تركيب المجاز]

[مركب المجاز ما تحصلا   في نسبة أو مثل تمثيل جلا

وإن أتى استعارة مركب   فمثلا يدعى ولا ينكب]

أقول : قسم المجاز المركب إلى قسمين : الأول ما تحصل أي تقدم في الاسنادالخبري. الثاني ما استعمل فيه شبه بمعناه الأصلي وكان وجه الشبه فيه هيئة منتزعةمن متعدد، وهذا يسمى استعارة تمثيلة فقوله : أو مثل تمثيلا جلا : أي ظهر ، مثال تشبيه التمثيل في الوجه نحو إني أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى المستعمل في تردد شخص في أمر شبهت صورة تردده في الأمر بصورة من قام يمشي إلى أمر فترك المشي فتارة يقدم رجله وتارة يؤخرها، فكل من الطرفين والجامع هيئة منتزعة من متعدد وهذا كما يسمى استعارة تمثيلية يسمى مثلا أيضا وشرط هذه التسمية فشوّ الاستعمال في الاستعارة دون التشبيه فقوله ولا ينكب أي لا يحول اللفظ الدال على المشبه لوجوب بقاء الاستعارة على الهيئة التي

يستحقها المشبه به.

قال :

[فصل في تغيير الإعراب]

[ومنه ما إعرابه تغيرا بحذف لفظ أو زيادة ترى]

أقول : من المجاز نوع آخر غير ما تقدّم وهو كل كلمة تغير إعرابها بحذف لفظ أو زيادته نحو وجاء ربك : أي أمره وليس كمثله سيء أي مثله على ما فيه فالحكم الأصلي لربك الجر ولمثل النصب فتغير بالحذف في الأول والزيادة في الثاني، وإنما كان هذا النوع مغايرا لما تقدم لأن المجاز اللفظ المستعمل في غير ما وضع له أو استعماله والتغيير بمعنى التغيير وليس واحدا منهما ورد بعضهم هذا النوع إلى المجاز الاسنادي والحذف والزيادة يصدق كل منهما على الاسم والحرف فحذف الاسم تقدم في المثال وزيادته نحو : أدخلوا آل فرعون أشدّ العذاب إذ المراد فرعون نفسه وزيادة الحرف تقدمّت في المثال ونقصه نحو تالله تفتؤ تذكر يوسف أي لا تفتؤ.

قال :

[الباب الثالث الكناية]

[لفظ به لازم معناه قصد مع جواز قصده معه يرد

إلى اختصاص الوصف بالموصوف ... كالخير في العزلة يا ذا الصوفي
ونفس موصوف ووصف والغرض ... إيضاح اختصار أو صون عرض
أو انتفاء اللفظ لاستهجان ... ونحوه كاللمس والاتيان]

أقول : قد عرف الكناية بأنها اللفظ الذي أريد به لازم معناه مع جواز إرادته نحو زيد طويل النجاد فإن المراد لازم معناه وهو طول القامة ويجوز مع ذلك إرادة طول النجاد الذي هو المعنى الحقيقي وبهذا القيد فارقت المجاز لأنه لابد من كون القرينة فيه مانعة عن إرادة المعنى الحقيقي نحو رأيت أسدا في الحمام ففي الحمام قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي وهو الحيوان المفترس كما قالوا برمتهم. واعترض ذلك عصام الدين في كتابته على متن السمرقندية بما يعلم بمراجعته.وأجيب عن اعتراضه فيما كتبته على شرحه المذكور وترد إلى أقسام ثلاثة الأول اختصاص الوصف بالموصوف كقولهم المجد بين ثوبيه والكرم بين برديه جعل إحاطة الثوبين والبردين بالوصفين كناية عن اختصاص الممدوح بهما ومن ذلك الخير في العزلة الخ كناية عن اختصاص الصوفي بها الثاني ما يطلب بها نفس الموصوف كقولك جاء المضياف تريد زيدا لكثرة إقرائه للضيف حتى صار اختصاصه بذلك كاللازم ينتقل من المضياف إليه. الثالث ما يطلب بها نفس الصفة نحو كثير الرماد كناية عن المضياف،

ونحو طويل النجاد كناية عن طول القامة والأولى بعيدة لكثرة الوسائط والثانية قريبة لعدم الواسطة ثم الغرض من الكناية الايضاح كطويل النجاد لطول القامة، أو الاختصار كفلان مهزول الفصيل : أي لكثرة نحر الأمهات كناية عن كرمه، أو الستر، وهو المراد بالصون كأهل الدار كناية عن الزوجة صيانة لها ، أو اختيار الفصحاء للفظ باستهجان المكنى عنه نحو فالآن باشروهن ونحو فلان لمس زوجته وأتاها كناية عن المجامعة.

قال :

[فصل في مراتب المجاز والكنى]

[ثم المجاز والكنى أبلغ من ... تصريح أو حقيقة كذا زكن

في الفن تقسيم استعارة على ... تشبيه أيضا باتفاق العقلا]

أقول : المجاز أبلغ من الحقيقة والكناية أبلغ من التصريح لأن الانتقال فيهما من الملزوم إلي اللازم وهو كدعوى الشيء ببينة فإن وجود الملزوم يقتضي وجود اللازم لامتناع انفكاك الملزوم عن لازمه والاستعارة أبلغ من التشبيه لأنها نوع من المجاز والتشبيه حقيقة وقد علمت أن المجاز أبلغ منها والله أعلم،

قال : [الفن الثالث البديع]

[علم به وجوه تحسين الكلام ... تعرف بعد رعى سابق المرام

ثم وجوه حسنه ضربان بحسب الألفاظ والمعاني]

أقول : تقدم أن فن البديع ليس جزءا من البلاغة بل هو تابع لها فالنظر فيه فرع النظر فيها فلذلك أخر، وهو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة فقوله علم خبر مبتدإ محذوف ودليل مفاده الترجمة وسابق المرام أي المطلوب السابق وهو المطابقة ووضوح الدلالة اللذان هما مفادان للفنين قبله، ثم وجوه التحسين منها ما يتعلق باللفظ فيكسوه حسنا وجمالا كالجناس التام ومنها ما يتعلق بالمعنى كذلك كالمطابقة وسيأتي مثالهما وقدم الألفاظ فس البيت لأنها طريق للمعاني وأخرالكلام على ما يتعلق بها اهتماما بشأن المعاني لأنها المقصودة أولا وبالذات وقصد الألفاظ عرضيّ.

قال :

[الضرب الأول المعنوي]

[وعد من ألقابه المطابقة تشابه الأطراف والموافقة]

أقول : تقدم وجه تقديم الضرب المعنوي فمن ألقابه المطابقة وتسمى الطباق والتضاد والتكافؤ وهو الجمع بين متقابلين في الجملة أي سواء كان تقابل ضدين أو نقضين أو عدم وملكة ويكون بلفظين من نوع إسمين نحو - وتحسبهم أيقاضا وهم رقود- أو فعلين نحو : يحيي ويميت، أو

حرفين نحو - لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت - أو من نوعين نحو أو من كان ميتا فأحييناه والطباق قسمان طباق الايجاب كما مثل وطباق السلب وهو الجمع بين فعلين من نوع واحد أحدهما مثبت والآخر منفي أو أحدهما أمر والآخر نهي نحو ولكن أكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا فلا تخشوا الناس واخشون. ومنها تشابه الأطراف وهو التناسب بين أول الكلام وآخره في المعنى نحو - لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير - ومنها الموافقة وتسمى التناسب والتوافق أيضا ومراعاة النظير وهو جمع أمر وما يناسبه لا بالتضاد نحو : الشمس والقمر بحسبان.

قال :

[والعكس والتسهيم والمشاكله ... تزاوج رجوع أو مقابله]

أقول : اشتمل هذا البيت على ستة ألقاب. الأول العكس وهو أن يقدم في الكلام جزء ثم يؤخر نحو عادات السادات سادات العادات. الثاني التسهيم ويسمى الارصاد وهو أن يجعل قبل العجز في الفقرة أو البيت ما يدل عليه إذا عرف الروي نحو - وما كان الله ليظلمهم ولا كانوا أنفسهم يظلمون - وقوله : إذا لم تستطع شيئا فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع الثالث المشاكلة وهي ذكر شيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته

تحقيقا أو تقديرا فالأول نحو قوله: قالوا اقترح شيئا نجد لك طبخه * قلت اطبخوا لي جبة وقميصا : أي خيطوا فعبر عنه بلفظ الطبخ لوقوعه في صحبة الطعام. ومنه : ومكروا ومكر اللّه، والثاني نحو : صبغة اللّه وهو مصدر مؤكد لامنا باللّه: أي تطهير اللّه لأن الإيمان يطهر النفوس والأصل فيه أن النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يقال له العمودية ويقولون إنه تطهير لهم، فعبر عن الإيمان باللّه بصيغة اللّه للمشاكلة لهذه القرينة. الرابع المزاوجة وهي أي يزاوج أو يقارن بين معنيين في الشرط والجزاء كقوله:

إذا ما نهى الناهي فلجّ بي الهوى أصاخت إلى الواشي

فلجّ بها الهجر زاوج بين نهي الناهي وإصاختها إلى الواشي الواقعين في الشرط والجزاء بأن رتب عليهما لجاج شيء وإن كان في الأول لجاج الهوى وفي الثاني لجاج الهجر. الخامس الرجوع وهو العود إلى الكلام السابق بالنقض لنكتة كقوله :

قف بالديار التي لم يعفها القدم بلى وغيرها الأرواح والديم

أخبر الأول أن هذه الديار لم يبلها تقادم العهد ثم نقض هذا الخبر بقوله بلى وغيرها الأرواح أي هبوبها والديم أي القطر والنكتة إظهاره التحير كأنه أخبر أولا بما لا تحقق له ثم لما أفاق بعض إفاقة نقض الكلام

السابق قائلا بل عفاها القدم وغيرها الأرواح والديم. والسادس المقابلة وهو أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو أكثر ثم يقابل ذلك على الترتيب نحو فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا ومنه - فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى إلى العسرى - وقوله: ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا وأقبح الكفر والافلاس بالرجل وأدخل الأصل هذا النوع من المطابقة.

قال :

[تورية تدعى بإيهام لما أريد معناه البعيد منهما

ورشحت بما يلائم القريب وجردت بفقده فكن منيب]

أقول : من ألقاب المعنوي التورية وتسمى الإيهام لاشتمالها على إيهام إرادة المعنى القريب أيضا وهو أن يذكر لفظ له معنيان قريب وبعيد ويراد البعيد نحو - الرحمن على العرش استوى - فمعنى الاستواء القريب الاستقرار ومعناه البعيد الاستيلاء وهو المراد وهي قسمان مجردة وهي التي لا تلائم شيئا مما يلائم القريب كهذا المثال، ومرشحة وهي التي قرنت بما يلائمه نحو - والسماء بنيناه بأيد - فمعنى الأيذي القريب الجارحة والبعيد القدرة وهو المراد، وقرنت بما يلائم القريب وهو البناء وقوله منيب خبر كان وقف عليه بالسكون على لغة ربيعة.

قال :

[جمع وتفريق وتقسيم ومع كليهما أو واحد جمع يقع]

أقول : ذكر في هذا البيت ستة ألقاب من الضرب المعنوي. الأول الجمع وهو أن يجمع بين متعدد في حكم كقوله تعالى - المال والبنون زينة الحياة الدنيا ونحو : إن الشباب والفراغ والجده مفسدة للمرء أيّ مفسده الثاني التفريق، وهو إيقاع تباين بين أمرين من نوع في المدح أو غيره نحو - هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج - وكقوله ما نوال الغمام وقت ربيع كنوال الأمير يوم سخاء فنوال الأمير بدرة عين ونوال الغمام قطرة ماء الثالث التقسيم. وهو ذكر متعدد ثم إضافة ما لكل إليه على التعيين كقوله: ولا يقيم على ضيم يراد به إلا الأذلان غير الحيّ والوتد هذا على الخسف مربوط برمته وذا يشجّ فلا يرِى له أحد الرابع الجمع مع التفريق وهو أن يدخل شيئان في معنى ويفرق بين جهتي الادخال كقوله: فوجهك كالنار في ضوئها وقلبي كالنار في حرّها الخامس الجمع مع التقسيم . وهو جمع متعدد تحت حكم ثم تقسيمه أو بالعكس فالأول كقوله : حتى أقام على أرباض خرشنة تشقى بها الرم الصلبان والبيع للسبي ما نكحوا والقتل ما ولدوا والنهب ما جمعوا والنار ما زرعوا والثاني كقوله : قوم إذا حاربوا ضروا عدوّهم أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا سجية تلك فيهم غير محدثة إن الخلائق فاعلم

شرّها البدع السادس الجمع مع التفريق والتقسيم كقوله تعالى - يوم يات لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقيّ وسعيد فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ - جمع في قوله لا تكلم نفس لأنها نكرة في سياق النفي ، ثم فرّق بأن بعضهم شقي وبعضهم سعيد، ثم قسم بأن أضاف إلى الأشقياء ما لهم من عذاب النار وإلى السعداء ما لهم من نعيم الجنة، فقوله ومع كليهما الخ يعني أن الجمع يقع في التفريق تارة ومع التقسيم أخرى ومع كليهما وقد تقدم كل ذلك.

قال :

[واللفّ والنشر والاستخدام أيضا وتجريد له أقسام]

أقول : ذكر في هذا البيت ثلاثة ألقاب. الأول اللفّ والنشر وهو ذكر متعددعلى التفصيل والإجمال ثم ذكر ما لكلّ من غير تعيين ثقة بأن السامع يرده إليه فالأول ضربان، لأن النشر إما على ترتيب اللف نحو ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله. وإما على غير ترتيبه كقوله : كيف أسلو أنت حقف وغصن

وغزال الحظا وقدا وردفا. والثاني كقوله تعالى وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى أي وقالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان هودا وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصاري فلفّ بين الفريقين لعدم الالتباس والثقة بأن السامع يرد إلى كل فريق مقولة. الثاني الاستخدام وهو أن يراد بلفظ له معنيان أحدهما ثم بضميره الآخر أو يراد بأحد ضميريه أحدهما ثم بالآخر الآخر فالأول كقوله: إذا نزل السماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضابا والثاني نحو أتينا غيثا فرعيناه وشربناه . الثالث التجريد وهو أن ينتزع من أمر ذي صفة آخر مثله فيها مبالغة في كمالها فيه وهو أقسام منها ما يكون بمن التجريدية نحو قولهم لي من فلان صديق حميم أي بلغ من الصداقة حدا صح معه أن يستخلص منه آخر مثله فيها مبالغة في كمالها فيه، ومنها ما يكون بالباء التجريدية الداخلة على المنتزع منه كقولهم لئن سألت فلانا لتسألن به البحر بالغ في اتصافه بالسماحة حتى انتزع منه بحرا في السماحة، ومنها ما يكون بفي الداخلة على المنتزع منه نحو قوله تعالى - لهم فيها دار الخلد، ومنها ما يكون بغير توسط حرف نحو قوله : فلئن بقيت لأرحلنّ بغزوة * تحوي الغنائم أو يموت كريم يعني نفسه انتزع منه نفسه كريما مبالغة في كرمه، ومنها مخاطبة الانسان نفسه

كقوله: لا خيل عندك تهديها ولا مال فليسعد النطق إن لم تسعد الحال
انتزع من نفسه شخصا آخر مثله في فقد الخيل والمال.

قال :

[ثم المبالغة وصف يدّعى بلوغه قدرا يرى ممتنعا
أو نائيا وهو على انحناء تبليغ إغراق غلوّ جائي
مقبولا أو مردودا التفريع وحسن تعليل تنويع]

أقول : ذكر في هذه الأبيات ثلاثة ألقاب. الأول المبالغة وهو ادعاء بلوغ وصف في الشدة أو الضعف إلى حد مستحيل أو مستبعد لئلا يظن أنه غير متناه فيه وهي ثلاثة أقسام تبليغ وإغراق وغلوّ فالتبليغ أن يكون الوصف المدعى ممكنا عقلا وعادة كقوله: فعادى عداء بين ثور ونعجة دركا ولم ينضح بماء فيغسل ادعى أن فرسه أدرك ثورا ونعجة أي ذكرا وأنثى من بقر الوحش في مضمار واحد ولم يعرق وهذا ممكن عقلا وعادة والإغراق ما أمكن عقلا لا عادة كقوله : ونكرم جارنا ما دام فينا * ونتبعه الكرامة حيث مالا وهذا ممكن عقلا لا إعادة وهذا الممكن العادي غير واقع في زمننا بل كاد أن يلحق بالممتنع العقلي وهذان النوعان مقبولان أي مرضيان مستحسنان والغلوّ ما لا يمكن لا عقلا ولا عادة كقوله: وأخفت أهل الشرك حتى إنه لتخافك النطف

التي لم تخلق فخوف النطف مستحيل عقلا وعادة ومنه مقبول ومردود فالمقبول منه ما أدخل فيه ما يقرّ به إلى الصحة نحو يكاد زيتها يضيء لو لم تمسسه نار، فيكاد قرّب ذلك من الصحة ، ومنه ما أخرج مخرج الهزل والخلاعة كقوله: أسكر بالأمس إن عزمت على الشـ ـرب غدا إن ذا من العجب والمردود منه ما ليس كذلك.

الثاني التفريع، وهو أن يثبت لمتعلق أمر حكم بعد إثباته لمتعلق له آخر على وجه يشعر بالتفريع كقوله: أحلامكم لسقام الجهل شافية كما دماؤكم تشفى من الكلب فرّع على وصفهم بشفاء أحلامهم من داء الجهل وصفهم بشفاء دمائهم من داء الكلب بفتح اللام وهاء شبيه بجنون يحدث للانسان من عض الكلب الكلب. الثالث: حسن التعليل وهو أن يدعى لوصف علة مناسبة له باعتبار لطيف غير حقيقي وهو أربعة أنواع لأن الصفة التي ادعى لها علة مناسبة، إما ثابتة قصد بيان علتها، أو غير ثابتة أريد إثباتها، والأولى إما أن لا يظهر لها في العادة علة وإن كانت لا تخلو في الواقع عنها كقوله: لم يحك نائلك السحاب وإنما حمت به فصبيبـ الرحضاء أي المصبوب وهو عرق الحمى فنزول المطر من السحاب صفة ثابتة لا يظهر لها في العادة علة وقد علله بأنه عرق حماها بسبب عطاء الممدوح أو يظهر لتلك الصفة علة غير العلة المذكورة

لتكون المذكورة غير حقيقية فيكون من حسن التعليل كقوله: ما به قتل أعاديه ولكن يتقي إخلاف ما ترجو الذئاب فإن قتل الأعداء في الغالب لدفع مضرتهم لا لما ذكره من أن طبيعة الكرم غلبته ومحبة صدق رجاء الراجين بعثته على قتل أعدائه لما علم من أنه إذا توجه للحرب صارت الذئاب ترجو اتساع الرزق عليها بلحوم من يقتل من الأعداء والثانية إما ممكنة كقوله : يا واشيا حسنت فينا إساءته نجى حذارك إنساني من الغرق فإن استحسان إساءة الواشي ممكنة لكن لما خالف الشاعر الناس فيه إذ لا يستحسنه الناس عقبه بأن حذاره منه أي من الواشي نجى إنسان عينه من الغرق في الدموع حيث ترك البكاء خوفا منه أو غير ممكنة كقوله: لو لم تكن نية الجوزاء خدمته لما رأيت عليها عقد منتطق من انتطق أي شد النطاق وحول الجوزاء كواكب يقال لها نطاق الجوزاء فنية الجوزاء خدمة الممدوح صفة غير ممكنة قصد إثباتها كذا في الإيضاح وبحث شارح الأصل بما يعلم بمراجعته فثبت أن في الصفة الثابتة نوعين وفي غيرها كذلك فقوله مقبولا أو مردودا حالان من ضمير الغلو في جائي والتفريع ابتداء كلام.

قال :

[وقد أتوا في المذهب الكلامي   بحجج كمهيع الكلام

وأكدوا مدحا بشبه الذم   كالعكس والإدماج من ذا العلم

أقول : ذكر في هذين البيتين أربعة ألقاب، الأول المذهب الكلامي وهو إيراد حجة للمطلوب على مذهب أهل الكلام بأن تكون بعد تسليم المقدّمات مستلزمة للمطلوب نحو - لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا - واللازم وهو الفساد : أي الخروج عن النظام منتف فالملزوم هو تعدد الآلهة مثله وهذه الملازمة من المشهورات الصادقة التي يكتفي بها في الخطابيات دون القطعيات، والمهيع الطريق. الثاني تأكيد المدح بما يشبه الذمّ وهو ضربان أفضلهما أن يستثنى من صفة ذم منفية عن الشيء صفة مدح بتقدير دخولها فيها كقوله: ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهنّ فلول من قراع الكتائب أي إذا كان فلول السيف عيبا فأثبت شيئا منه على تقدير كونه منه وهو محال فهو في المعنى تعليق بالمحال والمعلق بالمحال محال والتأكيد فيه من جهة أنه كدعوى الشيء ببينة والأصل في مطلق الاستثناء الاتصال فذكر أداته قبل ذكر ما بعدها يوهم إخراج شيء مما قبلها فإذا وليها صفة مدح جاء التأكيد. والثاني أن يثبت لشيء صفة مدح يعقب بأداة استثناء يليها صفة مدح أخرى له نحو «أنا أفصح من نطق بالضاد بيد أني من قريش». وأصل الاستثناء فيه أيضا أن يكون منقطعا لكنه لم يقدر متصلا كما قدر في الضرب الأول فلا يفيد التأكيد

إلا من الوجه الثاني وهو أن ذكر أداة الاستثناء قبل ذكر المستثنى يوهم إخراج سيء مما قبلها من حيث إن الأصل في مطلق الاستثناء هو الاتصال فإذا ذكر بعد الأداة صفة مدح أخرى جاء التأكيد ولا يفيد التوكيد من جهة أنه كدعوى الشيء ببينة لأنه مبني على التعليق بالمحال المبني على تقدير كون الاستثناء متصلا ولهذا كان الضرب الأول أفضل. الثالث تأكيد الذم بما يشبه المدح وهو مراده بالعكس وهو ضربان أحدهما أن يستثنى من صفة مدح منفية عن الشيء صفة ذم بتقدير دخولها فيها كقولك فلان لا خير فيه إلا أنه يسيء إلى من أحسن إليه. وثانيهما أن يثبت لشيء صفة ذمّ وتعقب بأداة استثناء تليها صفة ذم أخرى كقولك فلان فاسق إلا أنه جاهل وتحقيقها على قياس ما تقدّم. الرابع الادماج، وهو أن يضمن كلام سيق لمعنى آخر كقوله: أقلب فيه أجفاني كأني * أعدّ بها على الدهر الذنوبا فإنه ضمن وصف الليل بالطول الشكاية من الدهر.

قال :

[وجاء الاستتباع والتوجيه ما يحتمل الوجهين عند العلما]

أقول : ذكر في هذا البيت نوعين : الأول الاستتباع وهو المدح بشيء على وجه يستتبع المدح بشيء آخر فهو أخص من الادماج كقوله :

نهبت من الاعمار ما لو حويته لهنئت الدنيا بأنك خالد مدحه بالنهاية في الشجاعة على وجه استتبع مدحه بكونه سببا لصلاح الدنيا ونظامها. الثاني التوجيه وهو إيراد الكلام محتملا لوجهين مختلفتين كقول من قال لأعور * ليت عينيه سواء * يحتمل صحة عينه العوراء فيكون دعاء له وبالعكس فيكون دعاء عليه.

قال :

[ومنه قصد الجد بالهزل كما يثنى على الفخور ضد ما اعتمى]

أقول : ذكر في هذا البيت نوعا واحدا وهو إيراد الجد في قالب الهزل كقوله: إذا ما تميمي أتاك مفاخرا * فقل عدّ عن ذا كيف أكلك للضب فقوله يثنى أي يعطف ويرد على الفخور بضد ما اعتمى أي اختار لنفسه والفخور المفتخر بما أعطى.

قال :

[وسوق معلوم مساق ما جهل لنكتة تجاهل عنهم نقل]

أقول : ذكر في هذا البيت نوعا واحدا وهو تجاهل العارف وسماه السكاكي سوق المعلوم مساق غيره لنكتة كالمبالغة في المدح في قوله: ألمع برق سرى أم ضوء مصباح أم ابتسامتها بالمنظر الضاحي والتوله

والتحير في الحب في قوله: باللّه يا ظبيات القاع قلن لنا ليلاي منكنّ أم ليلى من البشر.

قال :

[والقول بالموجب من قل ضربان كلاهما في الفن معلومان]

أقول : ذكر في هذا البيت نوعا واحدا وهو القول بالموجب وبسط الكلام فيه كتب الأصول وهو ضربان، أحدهما أن تقع صفة في كلام الغيركناية عن شيء أثبت له حكم فتثبتها لغيره من غير تعرض لثبوته له وانتفائه عنه نحو يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعز منها الأذل وللّه العزة ولرسوله فالأعزصفة وقعت في كلام المنافقين كناية عن فريقهم والأذل كناية عن المؤمنين وقد أثبت المنافقون لفريقهم إخراج المؤمنين من المدينة، فأثبت اللّه تعالى تلك الصفة التي علقوا عليها الحكم لغير فريقهم وهو اللّه ورسوله والمؤمنون رداً عليهم ولم يتعرّض لثبوت حكم الاخراج لمن أثبت لهم العزّة ولا لنفيه عنهم لأن الغرض إنما هو إبطال دعواهم إثبات الحكم المعلق على تلك الصفة لأنفسهم. الثاني حمل لفظ وقع في كلام الغير على خلاف مراده مما يحتمله بذكر متعلقه كقوله: قلت ثقلت إذا أتيت مرارا قال ثقلت كاهلي بالأيادي فحمل لفظ

ثقلت الذي وقع في كلام الغير على خلاف مراده مما يحتمله بأن ذكر متعلقه الذي هو الأيادي ومنه ما إذا قال لك شخص أنا أعلم منك فتقول له بطرق الضلال.

قال :

[والاطراد العطف بالآباء للشخص مطلقا على الولاء]

أقول : ذكر في هذا البيت نوعا واحدا وهو الاطراد وحقيقته أن تأتي بأسماء الممدوح أو غيره وآبائه على ترتيب الولادة من غير تكلف كقولك إن يقتلوك فقد ثللت عروشهم بعتيبة بن الحارث بن شهاب وثللت هدمت يقال ثل الله عروشهم أي هدم ملكهم والمثلول المهدوم ومنه قوله عليه الصلاة والسلام « الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ».

قال :

[الضرب الثاني اللفظي]

[منه الجناس وهو ذو تمام مع اتحاد الحرف والنظام

ومتماثلا دعى إن ائتلف نوع ومستوفى إذا النوع

اختلف لن يعرف الواحد إلا واحدا فاخرج عن الكون تكن مشاهدا] أقول : تقدم وجه تقديم النوع المعنوي عن اللفظي، وأنوع

اللفظي كثيرة ذكر المصنف كأصله بعضها منها الجناس وهو تشابه اللفظين في التلفظ فيخرج المترادفان ويدخل المشترك ، ثم هو تام وغير تام، فالتام أن يتفقا في أنواع الحروف وأعدادها وهيآتها وترتيبها ، فإن كانا من نوع كاسمين سمي متماثلا نحو - ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة - ومنه مثال المصنف وإن كانا من نوعين سمي مستوفى كقوله: ما مات من كرم الزمان فإنه يحيى لدى يحيى بن عبد الله قال :

[ومنه ذو التركيب ذو تشابه خطا ومفروق بلا تشابه

وإن بهيئة الحروف اختلفا فهو الذي يدعونه المحرفا]

أقول: من الجناس التام المركب، وهو ما كان أحد لفظيه مركبا فإن اتفقا في الخط سمي متشابها كقوله: إذا ملك لم يكن ذاهبه فدعه فدولته ذاهبه وإن لم يتفقا في الخط سمي مفروقا كقوله:

كلكم قد أخذ الـ ـجام ولا جام لنا ما الذي ضرّ مدير الـ

ـجام لو جاملنا وإن اختلفا في هيئات الحروف فقط سمي محرفا

كقوله جبة البرد جنة البرد والحرف المشدّد في حكم المخفف قال :

[وناقص مع اختلاف في العدد وشرط خلف النوع واحد

فقد

ومع تقارب مضارعا ألف ومع تباعد بلاحق وصف]

أقول : الجناس الناقص ما اختلف اللفظان فيه في أعداد الحروف إما بحرف واحد في الأول نحو - والتفت الساق بالساق إلى ربك يومئذ المساق أو في الوسط نحو جدي جهدي أو في الآخر كقوله * يمدون من أيد عواص عواصم * وربما سمي هذا مطرفا. وإما بأكثر كقوله: إن البكاء هو الشفا ء من الجوى بين الجوانح وربما سمي هذا مذيلا وإن اختلفا في أنواعها فيشترط أن لا يقع بأكثر من حرف ثم الحرفان إن كانا متقاربين سمي مضارعا وهو إما في الأول نحو بيني وبين كني ليل دامس وطريق طامس ، أو في الوسط نحو - وهم ينهون عنه وينأون عنه - أو في الآخر نحو الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة وإن لم يكونا متقاربين سميا لاحقا وهو أيضا إما في الأول نحو - ويل لكل همزة لمزة أو في الوسط نحو - ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون - أو في الآخر نحو - وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف -.

قال :

[وهو جناس القلب حيث يختلف ترتيبها للكل والبعض أضف

مجنحا يدعى إذا تقاسما بيتا فكان فاتحا وخاتما

ومع توالي الطرفين عرفا مزدوجا كل جناس ألفا

تناسب اللفظين في اشتقاق وشبهه فذاك ذو التحاق]

أقول : إذا اختلف اللفظان في ترتيب الحروف سمي جناس القلب نحو حسامه فتح لأوليائه حتف لأعدائه ويسمى قلب كل ونحو اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا ويسمى قلب بعض. وإذا وقع أحدهما في أول البيت والآخر في اخره سمي مقلوبا مجنحا نحو: لاح أنوار الهدى من كفه في كل حال وإذا ولى أحد المتجانسين الآخر سمي مزدوجا نحو: وجئتك من سبأ بنبأ يقين، ويلحق بالجناس شيئان أحدهما أن يجمع اللفظين اشتقاق نحو فأقم وجهك للدين القيم، والثاني أن تجمعهما المشابهة وهو ما يشبه الاشتقاق نحو قال إني لعملكم من القالين وأشار إلى هذا بقوله تناسب البيت.

قال :

[ويرد التجنيس بالاشارة من غير أن يذكر في العبارة

ورمنه رد عجز اللفظ على صدر ففي نثر بفقرة جلا

مكتنفا والنظم الأول أولا آخر مصارع فما قبل قلا

مكررا مجانسا وما التحق يأتي كتخشى الناس والله أحق]

أقول : من أنواع الجناس جناس الاشارة بأن يكون أحد اللفظين غير مصرح به كقولك في رجل يسمى أسدا فر الأسد من اسمه، ومن أنواع الجناس اللفظي رد العجز عن الصدر ففي النثر أن يجعل أحد اللفظين في أول الفقرة والآخر في اخرها وهذا معنى قوله مكتنفا نحو وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه، وفي النظم أن يكون أحدهما في آخر البيت والآخر في صدر المصراع الأول أو حشوه أو آخره أو صدر المصراع الثاني وكله داخل تحت قوله قبل كقوله: سريع إلى ابن العم يلطم وجهه وليس إلى داعي الندى بسريع * وقوله مكررا البيت يعني أن رد العجز على الصدريأتي تارة مكررا وتارة متجانسا وتارة ملحقا وصور ذلك في الأصل.

قال :

[فصل في السجع]

[والسجع في فواصل في النثر   مشبهة قافية في الشعر

ضروبه ثلاثة في الفن مطرّف مع   اختلاف الوزن مرصع

إن كان ما في الثانيه   أو جله على وفاق الماضيه

وما سواه المتواز فادر   كسرر مرفوعة في الذكر]

أقول من الجناس اللفظي السجع وهو توافق الفاصلتين من النثر

على حرف واحد وهذا معنى قول السكاكي هو في النثر كالقافية في الشعر وهو ثلاثة أضرب. الأول المطرف إن كانا مختلفين في الوزن نحو - ما لكم لا ترجعون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا والثاني المرصع، وهو ما استوت فواصله في الوزن والتقفية وكان كل ما في إحدى الفقريتن أو جله من الألفاظ مثل ما يقابله من الأخرى كقول الحريري فهو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه ويقرع الأسماع بزواجر وعظه التالت المتوازي وهو أن تستوي الفاصلتان في اللفظ ولم توافق سائر الفاظ أحدهما ولأجل ما يقابلها من أختها في الوزن والتقفية نحو - فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة - قال : أبلغ ذاك مستو فما ترى أخرى القرينتين في أكثرا والعكس إن يكثر فليس يحسن ومطلقا أعجازها تسكن وجعل سجع كل شطر غير ما أقول : القرينة طائفة من الكلام مشتملة على الفاصلة سميت بذلك لأنها مقارنة لصاحبتها وأحسن السجع ما تساوت فيه فقرته الثانية نحو - في سدر مخضود وطلح منضود - ثم ما طالت فقرته الثانية نحو والنجم إذا هوى ما ضلّ صاحبكم ما غوى والثالثة نحو خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه، ولا يحسن بأن يؤتى بعد فقرة بفقرة أخرى أقصر منها كثيرا والأسجاع مبنية على سكون الأعجاز كقوله: ما أبعد ما فات وما أقرب ما هو آت. قيل السجع غير مختص بالنثر بل

يكون في النظم كقوله : تجلى به رشدي وأثرت به يدي وفاض بي ثمدي وأورى بي زندي ومنه على هذا القول ما ذكر المصنف وهو المسمى بالتشطير وهو جعل كل من شطري البيت سجعة مخالفة لأختها كقوله: تدبير معتصم بالله منتقم لله مرتقب في الله مرتغب فإن سجع الشطر الأول مبني على الميم والثاني على الباء.

قال :

[فصل في الموازنة]

[ثم الموازنة وهو التسوية لفاصل في الوزن لا في التقفيه

وهي المماثلة حيث يتفق في الوزن لفظ فقرتيها فاستفق

والقلب والتشريع والتزام ما قبل الروي ذكره لن يلزما]

أقول : من أنواع اللفظي الموازنة وهي تساوي الفاصلتين في الوزن دون التقفية نحو ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوتة، فإن كان ما في إحدى القرينتين من الألفاظ أو أكثره مثل ما يقابله من الأخرى في الوزن خص باسم المماثلة نحو وآتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم وقوله : مها الوحش إلا أن هاتا أوانس قنا الخط إلا أن تلك ذوابل ومنها القلب وهو أن يكون الكلام على ترتيب بحيث لو افتتح من آخره إلى أوله لخرج النظم الأول بعينه نحو كل في فلك وربك فكبر فإنه يقرأ

من آخره كما يقرأ من أوله، ومنها التشريع وهو بناء البيت على قافيتين يصح المعنى عند الوقوف على كل منهما كقوله. يا خاطب الدنيا الدنية إنها شرك الردى وقرارة الأكدار . ومنها لزوم ما لا يلزم وهو أن يجيء قبل حرف الروي أو ما في معناه من الفاصلة ما ليس بلازم للسجع نحو فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر. قال في الأصل وأصل الحسن في ذلك كله أن تكون الألفاظ تابعة للمعاني دون العكس .

قال :

[السرقات]

[وأخذ شاعرا كلاما سبقه   هو الذي يدعونه بالسرقة

وكل ما قرر في الألباب   أو عادة فليس من ذا الباب]

أقول : السرقة أن يأخذ الشاعر كلام شاعر تقدم عليه واتفاق القائلين إن كان في الغرض على العموم كالوصف بالشجاعة والسخاء فلا يدّعي سرقة ومثله وجه الدلالة المشترك في معرفته لتقرر ذلك في العقول والعادات وإن لم يشترك الناس في معرفة وجه الدلالة جاز أن يدعى فيه السبق والزيادة بأن يحكم بين القائلين فيه بالتفاضل بأن يقال زاد أحدهما على الآخر أو نقص عنه، وهذا قسمان كما سيأتي آنفا

قال :

[والسرقات عندهم قسمان خفية جلية والثاني تضمن
معنى جميعا مسجلا أردؤه انتحال ما قد نقلا
بحاله وألحقوا المرادفا به ويدعى ما أتى مخالفا
لنظمه غارة وحمدا حيث من السابق كان أجودا
وأخذه المعنى مجردا دعى سلخا وإلماما وتقسيما فعى]

أقول : السرقة قسمان خفية وجلية أي ظاهرة فالأولى تأتى، والثانيةأن يأخذ المعنى كله إما بلفظه كله أو بعضه أو وحده وهذا معنى قوله مسجلا فإن أخذ اللفظ كله من غير تغيير سمي انتحالا ونسخا وهو مذموم وهذا معنى قوله: أردؤه انتحال ما قد نقلا بحاله كما حكى عن عبد الله بن الزبير أنه فعل ذلك بقول معن ابن أوس: إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته على طرف الهجران إن كان يعقل ويركب حد السيف من أن تضميه إذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل فإنهما في قصيدة لمعن أولها: لعمرك ما أدري وإني لأوجل على أينا تعدو المنية أول وفي معناه أن يبدل بالكلمات أو بعضها ما يرادفها وهذا معنى قوله وألحقوا المرادفا به إن كان مع تغيير لنظمه أو أخذ بعض اللفظ سمي إغارة ومسخا فإن كان الثاني أبلغ لاختصاصه بفضيلة فممدوح كقول بشار: من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك اللهج،

وقول سلم : من راقب الناس مات هما   وفاز باللذة الجسور وإن كان دونه فمذموم كقول أبي تمام : هيهات لا يأتي الزمان بمثله: إن الزمان بمثله لبخيل وقول أبي الطيب: أعدى الزمان سخاؤه فسخابه ولقد يكون به الزمان بخيلا وإن كان مثله فأبعد من الذم والفضل للأول كقول أبي تمام: لو حار مرتاد المنية لم يجد   إلا الفراق على النفوس دليلا وقول أبي الطيب: لولا مفارقة الأحباب ما وجدت   لها المنايا إلى أرواحنا سبلا

وإن أخذ المعنى وحده سمي إلماما وسلخا وقوله : وتقسيما تقدم آنفا وهو ثلاثة أقسام أيضا وأمثلتها بالأصل قال :

[السرقة الخفية]

[وما سوى الظاهر أن يغيرا   معنى بوجه ما ومحمودا

يرى   لنقل أو خلط شمول الثاني   وقلب أو تشابه المعاني

أحواله بحسب الخفاء   تفاضلت في الحسن والثناء]

أقول : هذا هو القسم الثاني وهو السرقة الخفية وهو أن يغير المعنى بوجه لطيف بحيث لا يظهر أنه مسروق إلا بعد تأمل وهو محمود وتغيير المعنى من وجوه: منها نقله وهو أن ينقل المعنى إلى محل آخر كقول البحتري: سلبوا وأشرقت الدماء عليهم محمّرة فكأنهم لم يسلبوا وقول أبي الطيب : يبس النجيع عليه وهو مجرد من غمده فكأنما هو مغمد

ومنها أن يضاف إلى المعنى ما يحسنه وهو المراد بالخلط كقول الأفوه : وترى الطير على آثارنا رأى عين ثقة أن ستمار وقول أبي تمام: وقد ظللت عقبان أعلامه ضحى بعقبان طير في الدماء نواهل أقامت على الرايات حتى كأنها من الجيش إلا أنها لم تقاتل. ومنها أن يكون معنى الثاني أشمل كقول جرير : إذا غضبت عليك بنو تميم وجدت الناس كلهم غضابا وقول أبي نواس : ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد ومنها القلب وهو أن يكون معنى الثاني نقيض معنى الأول كقول أبي الشيص: أجد الملامة في هواك لذيذة حبا لذكرك فيلمني اللوّم وقول أبي الطيب : أأحبه وأحب فيه ملامة إن الملامة فيه من أعدائه ومنها أن يتشابه المعنيان كقول جرير: فلا يمنعك من أرب لحاهم سواء ذو العمائم والخمار وقول أبي الطيب : ومن كفه منهم قناة كمن في كفه منهم خضاب ثم إن تفاضل السرقة في الحسن والقبول بحسب مراتب الخفاء فكلما كانت أشد خفاء كانت أقرب للقبول ولابد من العلم بأن الثاني أخذ من الأول إما بإخباره عن نفسه وإما بغير ذلك لجواز أن يكون الاتفاق من قبيل توارد الخاطر أي مجيئه على سبيل الاتفاق من غير قصد إلى الأخذ فإذا لم يعلم أن الثاني أخذ من الأول قيل قال فلان كذا وسبقه إليه فلان فقال كذا ليغتنم بذلك فضيلة الصدق.

قال :

[الاقتباس]

[الاقتباس أن يضمن الكلام قرآنا أو حديثا سيد الأنام

والاقتباس عندهم ضربان محوّل وثابت المعاني

وجائز لوزن أو سواه تغيير نزر اللفظ لا معناه]

أقول : الاقتباس الاصطلاح تضمين الكلام نثرا أو نظما شيئا من القرآن أو الحديث لا على أنه منه كقول الحريري. فلم يكن إلا كملح البصر أو هو أقرب حتى أنشد فأغرب، وقول الآخر: إن كنت أزمعت على هجرنا من غير ما جرم فصبر جميل وإن تبدلت بنا غيرنا فحسبنا الله ونعم الوكيل وقول الحريري: قلنا شاهت الوجوه وقبح اللكع ومن يرجوه. وقول ابن عباد: قال لي إن رقيبي سيء الخلق فداره قلت دعني وجهك الجنه حفت بالمكاره وهو ضربان ما لم ينتقل فيه المقتبس عن معناه الأصلي كما تقدم وهو المراد بثابت المعاني وخلافه وهو المراد بالمحوّل أي ما نقل فيه المقتبس عن معناه الأصلي كقوله: لئن أخطأت في مدحك ما أخطأت في منعي لقد أنزلت حاجتي بواد غير ذي زرع ولا بأس بتغير صغير للوزن أو غيره وهو مراده بالنزر كقوله: قد كان ما خفت أن يكونا إنا لله راجعونا وقوله لامعناه أي لا يجوز تغيير معنى اللفظ .

قال :

[التضمين والحلّ والعقد]

[والأخذ من شعر بعز وما خفى تضمينهم وما على الأصل يفي

لنكتة أجمله واغتفرا يسير تغيير وما منه يرى

بيتا فأعلى باستعانة عرف وشطرا أو أدنى بأبداع ألف]

أقول : التضمين اصطلاحا أن يضمن الشعر شيئا من شعر الغير مع التنبيه عليه إن لم يكن مشهورا عند البلغاء كقوله: على أني سأنشد يوم بيعي أضاعوني وأي فتى أضاعوا وأحسنه ما زاد على الأول لنكتة كالتورية والتشبيه في قوله: إذا الوهم أبدى لي لماها وثغرها تذكرت ما بين العذيب وبارق ويذكرني من قدّها ومدامعي مجر عوالينا ومجرى السوابق واغتفر التغيير اليسير، ويسمى تضمين البيت فأكثر استعانة وتضمين المصراع فما دونه إبداعا ورفوا.

قال :

[والعقد نظم النثر لا بالاقتباس والحل نثر النظم فاعرف القياس

واشترطوا الشهرة في الكلام والمنع أصل مذهب الامام]

أقول : العقد هو نظم النثر لا على طريق الاقتباس كقوله: ما بال من أوله نطفة وجيفة آخره يفخر عقد قول على رضى الله عنه : وما لابن

آدم والفخر وإنما أوله نطفة وآخره جيفة وأما الحل فهو أن ينثر النظم كقول بعض المغاربة : فإنه لما قبحت فعلاته وحنظلت نخلاته لم يزل سوء الظنّ يقتاده ويصدّق توهمه الذي يعتاده حل قول أبي الطيب إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق ما يعتاده من توهم ويشترط في الحل والعقد والتضمين أن يكون الكلام مشهورا لئلا يؤدى إلى تهمة فاعله بالكذب والمنع مطلقا مشهورا كان أو غير مشهور مذهب الإمام مالك رحمه اللّه تعالى.

قال :

[إشارة لقصة شعر مثل من غير ذكره فتلميح كمل]

أقول : التلميح الاشارة إلى قصة أو شعر أو مثل من غير ذكره كقوله : فواللّه ما أدري ما أأحلم نائم ألمت بنا أم كان في الركب يوشع إشارة إلي قصة يوشع عليه السلام واستيقافه للشمس وكقوله : لعمرو مع الرمضاء والنار تلتظى إرق وأحنى منك في ساعة الكرب إشارة إلى البيت المشهور المستجير بعمرو وعند ركبته كالمستجير من الرمضاء بالنار وكقولك لشخص تعجل السيادة والتصدر قبل أوانهما لا تعجل تحرم تشير إلى قولهم من تعجل شيئا قبل أوانه عوقب بحرمانه.

قال :

[تذنيب في ألقاب من الفن]

[من ذلك التوشيع والترديد ترتيب اختراع أو تعديد

كالثائبون والعابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون]

أقول : التذنيب جعل الشيء ذنابة للشيء وتكميلا له، والألقاب الأسماء وما ذكره هنا من ما يرجع للضرب المعنوي من البديع ومنه ما يرجع للفظي، ومن ذلك التوشيع وهو ذكر شيء من عجز الكلام مفسرا بمتعاطفين كقوله عليه الصلاة والسلام يشيب ابن آدم ويشبّ معه خصلتان الحرص وطول الأمل، ومنه الترديد وهو تعليق الكلمة في الفقرة أو المصراع بمعنيين نحو حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل اللّه اللّه أعلم حيث يجعل رسالته كقوله: صهباء لا تنزل الأحزان ساحتها إن مسها حجر مسته سراء ومنه الترتيب وهو تريب شيء على آخر لنكتة نحو : وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح، ومنه الاختراع وهو الاتيان بتركيب لم يسبق إليه نحو: ولما سقط في أيديهم لم يسمع قبل نزوله في القرآن. ومنه التعديد. وهو سوق المفردات دون عطفها : كالتائبون العابدون الحامدون السائحون البيت وكحديث الأسماء الحسنى.

قال :

[تطريز أو تدبيج استشهاد إيضاح ائتلاف استطراد]

أقول : التطريز اشتمال الصدر على جزءين مخبر عنه ومتعلقه والعجز على الخبر مقيدا بمثله كقوله «التسبيح في الصلاة نور على نور» والتدبيج أن يكون للكلام في معرض مدح أو غيره لونان فصاعدا لقصد الكناية أو التورية كقوله: تردى ثياب الموت حمرا فما أتى * لها الليل إلا وهي في سندس خضر أراد الثياب الملطخة بالدم فما أتى عليها الليل إلا وقد صارت من ثياب الجنة وكني بالأول عن القتل وبالثاني عن دخول الجنة والاستشهاد الاستدلال كقوله: كأن بي ركن وثيق وقعت فيه الزلازل زعزعته ثوب الدهر وكرات النوازل ما بقاء الحجر الصلد على وقع المعاول الشاهد في البيت الثالث والإيضاح أن يكون في الكلام خفاء دلالة فيؤتى بكلام يبين المراد يوضحه كقوله: يذكر فيك الخير والشر كله وقيل الخنا والعلم والحلم والجهل فألقاك عن مذمومها متنزها وألقاك في محمودها ولك الفضل فالثاني بين المراد بالأول والائتلاف الجمع بين متناسبين لفظا أو معنى نحو : الشمس والقمر بحسبان والاستطراد أن يكون المتكلم في فن من الفنون ثم يظهر له من آخر مناسبة فيورده ثم يرجع إلى الأول ويقطع الاستطراد كقوله تعالى - وهل أتاك حديث موسى - إلى قوله ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى .

قال :

[إحالة توليج أو تخييل   وفرصة تسميط أو تعليل]

أقول الاحالة مصدر أحلته على كذا ، وهي قسمان خفية وجلية كقوله تعالى وقد نزل عليكم في الكتاب إحالة على قوله : وإذا رأيت الذين يخضون في اياتنا الآية وكقوله : وآتينا داود زبورا والاحالة في الآية الأولى ظاهرة وفي الثانية خفية لما قيل إنها إحالة على قوله ولقد كتبنا في الزبور الآية لتضمنه تفضيل محمد صلى الله عليه وسلم. والتوليج الكناية البعيدة التي كثرت فيها الوسائط بين اللازم والملزوم ككثير الرماد. والتخييل ويقال له الإبهام وهو أن يذكر لفظ له معنيان قريب وبعيد ويراد البعيد وهو أقسام تسعة مذكورة في المطوّلات من أرادها فليرجع إليها. والفرصة استدراجك المخاطب لتأخذه كقولك لمنكر المعاد هل كنت عدما فيقول نعم فتقول هل أنت من ماء مهين فيقول نعم فتقول الذي سواك من ذلك قادر على إعادتك. والتسميط كون بعض أجزاء البيت سجعا وبعضها خلاف الرويّ كأن يجعل البيت أربع سجيعات ثلاث على روي غير روي البيت كقول بعضهم في بديعيته في رأسه غسق، في وجهه نطق * في ثغره نسق، تسميط دراهم، والتعليل هو أن يرد المتكلم ذكر حكم فيقدم عليه ذكر علة وقوعه كقول الصفى الحلى في بديعيته: لهم أسام سوام غير خافية من أجلها صار يدعى الاسم بالعلم.

قال :

[تحلية ونقل أو تختم تجريد استقلال أو تهكم]

أقول : التحلية عقد نثر القرآن أو الحديث بزيادة على ألفاظهما فهي نوع من العقد كقوله: الحمد لله منا باعث الرسل أهدى بأحمد منا أحمد السبل عقد قوله تعالى - لقد منّ الله على المؤمنين - الآية وقول الآخر : ما بال من أوله نطفة وآخره جيفة يفخر عقد قوله صلى الله عليه وسلم « وما لابن آدم والفخر وإنما أوله نطفة وآخره جيفة والنقل قريب من التحلية لأنه عقد لا يكون فيه شيء زائد عن لفظهما بل يكون كله في ترجمة أخرى. والتختم عقد قرآن أو حديث اشتملا على شيء من لفظهما كقوله : وبدت لنا البغضاء في أفواههم وصدورهم فيها أذى وحقود والتجريد نفي الملزوم لانتفاء اللازم كقوله تعالى لا يسألون الناس إلحافا : أي لا يكن منهم سؤال فلا يكون إلحاف. والاستقلال كناية عن جملة في معناه جمل كجمل الآي كقوله: وصالكم صدّ وحبكم قلى ونصحكم غش وصلحكم حرب والتهكم إبراز صورة المقصود في سورة ضد استهزاء نحو: ذق إنك أنت العزيزالكريم. مقتضى الظاهر إنك أنت الذليل المهان

قال :

[تعريض أو إلغاز ارتقاء تنزيل أو تأنيس أو إيماء]

أقول : التعريض أن يميل باللفظ إلى جانب يفهم منه المقصود لا من جهة الوضع الحقيقي ولا المجازي بل من عرض اللفظ أي جانبه كقول السائل لمن يتوقع منه صدقة إني محتاج. والالغاز تعمية المراد: أي تغطيته والاتقاء الانتقال من الأدنى إلى الأعلى في الوجه المراد نحو لا أبالي بالوزير ولا بالسلطان والتنزيل عكس الترقي نحو هذا الأمر لا يعجز السلطان ولا الوزير. والتأنيس تقديم ما يؤنس المخاطب قبل إخباره بمكروه والإيماء عند السكاكي الكناية القليلة الوسائط دون خفاء من الملزوم وفرق بين التلويح والرمز والإيماء بأن التلويح ما كثرت وسائطه والرمز ما قلت وسائطه مع خفاء في الملزوم كعريض القفا والإيماء ما قلت وسائطه دون خفاء كطويل النجاد قال :

[حسن البيان وصف ومراجعه   حسن تخلص بلا منازعه]

أقول : حسن البيان كشف المعنى وإيصاله للنفس بسهولة والرصف وضع كل كلمة في موضع يناسبها معنى ولفظا ووجها ولا يتم ذلك على أكمل حال إلا في كلام الله تعالى وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراجعة حكاية التقاول كقوله تعالى: قال فرعون وما رب العالمين إلى قوله من الصادقين وحسن التخلص ملاءمة الخروج من فن من الكلام إلى فن آخر ويسمى براعة المخلص قال :

[فصل فيما لا يعد كذبا]

[وليس في الايهام التهكـــم ولا التغالـــي بســوى المحرّم
من كذب وفي المزاح قد لزب بحيث لأ مندوحة عن الكذب]

أقول : ليس في الايهام وهو التورية كذب لأن المصطفى صلى الله عليه وسلم كان يمازح بها كقوله للعجوز التي طلبت منه الدعاء بدخول الجنة « إن الجنة لا تدخلها عجوز» ومثل التهكم لوروده في الكتاب العزيز وكذلك المبالغة وهو المراد بالتغالي ما لم تكن محرمة أو كفرا كمن يصف أميرا قهر أهل السماء أو عارض القدرة بقوته. وأما المزاح بالكذب على غير تأويل من تورية أو نحوها فحرام لأن اللعب لا يبيح محرما وهذه المصيبة عمت بها البلوى في زماننا إذ لا يكاد مجلس يخلو عن المزاح بالكذب وربما كفر الممازح في بعض الأحيان. وأما المزاح العاري عن الكذب فهو مباح لأن المصطفى صلى الله عليه وسلم كان يمازح بعض الأحيان ولا يقول إلا حقا زاده الله شرفا وكرما ولزب أي لزم ارتكاب ما ذكر من التورية ونحوها في المزاح لمن أراده لتكون له مندوحة عن الكذب.

قال :

خاتمة

وينبغي لصاحب الكلام تأنق في البدء والختام
بمطلع حسن وحسن القال وسبك أو براعة استهلال
والحسن في تخلص أو اقتضاب وفي الذي يدعونه فصل الخطاب
ومن سمات الحسن في الختام إردافه بمشعر التمام

أقول ينبغي للمتكلم أن يتأنق أي يتتبع الأفق والأحسن في أول كلامه وآخره فالأول موجب لإقبال نفس السامع والثاني يزيدها إقبالا على ما مضى وجابر لما قد يقع قبله من التقصير في التعبير فالأول يكون بحسن الابتداء لأنه أول ما يقرع السمع وأحسنه ما يسمى بالمطلع ويسمى بالإلماع ويسمى براعة الاستهلال وهو أن يقدم في أول كلامه إشارة إلى ما سبق الكلام لأجله كقوله في التهنئة بشرى فقد أنجز الإقبال ما وعدا وكوكب المجد في أفق العلا صعدا ، ومنه مطلع سورة النور. ومن محاسن الابتداء صنعة الانتقال من المطلع إلى المقصود وهو ثلاثة أقسام أحدها التخلص وهو الانتقال مما افتتح به الكلام إلى المقصود مع رعاية المناسبة بينهما الثاني الاقتضاب وهو الانتقال إلى ما لا يلائم الثالث فصل الخطاب وهو متوسط بينهما وهو الانتقال إلى ما يقرب من التخلص بأن يشوبه شيء من الملاءمة وعده بعضهم قسما من الاقتضاب ،ومنه قولهم بعد حمد الله والصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم أما بعد فهذا إلخ من حسن الكلام ختمه بما يشعر بتمامه بحيث لا يكون بعده للنفس تشوق كقوله :

بقيت بقاء الدهر يا كهف أهله وهذا دعاء للبرية شامل وجميع سور القرآن على هذا الأسلوب يعلم ذلك بأدنى تدبر قال :

هذا تمام الجملة المقصودة من صنعة البلاغة المحمودة
تم صلاة الله طول الأمد على النبي المصطفى محمد

وآلــه وصحبــه الأخيــار ما غرد المشتــاق بالأسحار
وخـر ساجدا إلى الأذقــان يبــغي وسيلـة إلــى الرحمــن
ثـم بشهـر الحجة الميمـون متم نصـف عــاشـر القـرون

أقول المشار إليه جميع ما تقدم سوى الخطبة إذ ليست مقصودة بالذات والبلاغة عبارة عن فني المعاني والبيان فإطلاقها على البديع تغليب وإنما كانت محمودة لأن بها يطلع على أسرار كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم ، وتقدم معنى الصلاة والأمد والوقت المستقبل والمصطفى المختار جمع خير بالتشديد وغرد من التغريد وهو التطريب في الصوت والغناء والمشتاق أي : إلى الحضرة العلية بدليل السياق والميمون من اليمن وهو البركة وكان ميمونا لأنه من الأشهر الحرم والقرون جمع قرن وهو مائة سنة وتمام نصفه خمسون، أخبر أن نظمه تم سنة خمسين وتسعمائة من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

قال أسير مساويه أحمد الدمنهوري :

هذا آخر ما أردنا كتابته تحريرا في العاشر من الخامس من الرابع من الثالث من الثاني عشر من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام نسأله سبحانه وتعالى أن يحسن عاقبتنا في الأمور كلها وأن يدخلنا دار كرامته محبينا من غير محنة بجاه حبيبه لديه تفضلا منه لا وجوبا عليه. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس
حلية اللب المصون على الجوهر المكنون للدمنهوري

الصفحة